رسالة اليونسكو

أبريل - يونيو 2019

مدن تتجدّد

آلان مابانكو
خورخي ماجفود
توما ب. ريفردي

UNESCO
منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

ISSN 2220-3540
9 772220 354063 01902

اكتشفوا
رسالة
اليونسكو
وساهموا
في التعريف بها!

اشتركوا في
النسخة الإلكترونية

مجاني 100%

http//ar.unesco.org/courier/subscribe

تصدر في 10 لغات

الإنجليزية والعربية والصينية والكورية
والإسبانية والإسبرانتو والفرنسية
والبرتغالية والروسية والصقلية.

كونوا شركاء فاعلين، اقترحوا إصدار رسالة
اليونسكو في لغات إضافية.

اطلاع
وتقاسم

ساهموا بصفة فعّالة في إنجاح *رسالة اليونسكو*
بالتشجيع على ترويجها واستعمالها طبقا لسياسة
الاستعمال الحر للمنظمة.

اشتركوا في النسخة الورقية

• سنة واحدة (4 أعداد): 27 يورو • سنتان (8 أعداد): 54 يورو

وحيث أن هذه النشرية ليس لها غاية ربحية، فإن
سعرها يُغطّي فقط تكاليف طبعها وإرسالها.

عرض تفضيلي للاشتراكات المُجمّعة: 10% تخفيض
بداية من خمسة اشتراكات.

الرجاء توجيه أي طلب إلى:

DL Services – C/O Michot Entrepôts
Chaussée de Mons 77,
B 1600 Sint Pieters Leeuw, Belgique
Tél.: (+ 32) 477 455 329 E-mail: jean.de.lannoy@dl-servi.com

2019 – عدد 2 – تصدر منذ 1948

تصدر ***رسالة اليونسكو*** فصليا عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. هدفها التعريف بالمثل العليا للمنظمة من خلال نشر تبادل الأفكار حول مواضيع ذات بُعد دولي ومتعلقة بالمهام الموكولة إليها.

تصدر ***رسالة اليونسكو*** بفضل الدعم السخيّ الذي توفّره جمهورية الصّين الشعبية.

المدير: فانسان دي فورني
رئيسة التحرير: ياسمينا شوبوفا
أمينة التحرير: كاترينا مركيلوفا
محرِّرة: شان سياورونغ
التحرير:
الإنجليزية: شراز سيدهفا
العربية: أنيسة البرّاق
الصينية: سون مين ودار الصين للترجمة والنشر
الإسبانية: ويليام نافاريت
الفرنسية: غبريال كازاجوس، مكلف بالمراجعة
الروسية: مارينا يرتسيفا
التحرير الإلكتروني: مالاهات إبراهيموفا
إخراج الصور: دانيكا بيجلجاك
تنسيق الترجمة والإخراج: فيرونيكا فيدورشنكو
مساعدة الإدارة والتحرير: كارولينا رولان أورتيغا

الإنتاج والترويج:
إيان دنيسون، رئيس وحدة النشريات
إيريك فروجي، مساعد رئيسي للانتاج
الإنتاج الرقمي:
دنيس بتزاليس، مصمم ومطور مواقع الكترونية
العلاقات مع وسائل الإعلام:
لايتيسيا كاسي، ملحقة صحفية
الترجمة: منير الشرفي، خالد أبو حجلة، نبيل السخاوي، رمضان الحمروني
التصميم: لايتيسيا سوفاجي
صورة الغلاف: © أدريا فرويتوس
الطباعة: اليونسكو
النشرات المشتركة:
البرتغالية: آنا لوشيا غيمارايس
اسبرانتو: تريزورو هوانغ ينباو
الكورية: أون يونغ شوي
الصقلية: دافيد بالينو

الإرشادات وحقوق إعادة النشر:
courier@unesco.org
7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France
© UNESCO 2019

ISSN 2220-3540 • eISSN 2220 - 3559

مجلة فصلية حرّة الإقتناء، بترخيص من
Attribution-ShareAlike 3.0 IGO (CC-BY-SA 3.0 IGO)
(http://creativecommons.org/licenses/by-sa/3.0/igo/)
يعترف مستعملي محتويات المجلة بقبولهم شروط الإستعمال المنصوص عليها في نظام التوثيق المفتوح لليونسكو
http://ar.unesco.org/open-access/

يطبق هذا الترخيص حصريًا على استعمال النصوص. بالنسبة لاستعمال الصور، من الضروري توجيه طلب إلى اليونسكو للحصول على ترخيص مسبق.

إن التسميات وطريقة تصميم المعطيات الواردة في هذه النشرية لا تعبّر عن أي موقف لمنظمة اليونسكو حول الوضع القانوني للدول، وللأراضي، وللمدن أو المناطق، أو حول الهيئات الحاكمة، أو الحدود المرسومة.

تعبّر المقالات الواردة في هذه النشرية عن أفكار وآراء مؤلّفيها، وهي ليست بالضرورة آراء منظمة اليونسكو ولا تلزمها بأي شكل من الأشكال.

الافتتاحية

مثلت سنة 2014 نقطة تحول بالنسبة للبشرية: لأوّل مرّة في التاريخ، فاق العدد الإجمالي لسكان المدن نصف سكان العالم. وحسب التقديرات الحالية، سوف يرتفع هذا العدد إلى نسبة 70% في عام 2050. وسوف تعكس مدن الغد، من نواح عدة، ما كانت عليه المدن السابقة ـ من المدينة-الدولة في بلاد ما بين النهرين، إلى المدن الإيطالية في عصر النهضة، وصولا إلى المدن الكبرى الحالية ـ حيث أن المُدن ساهمت دوما في تطور البشريّة وكانت بوتقة للتبادل والحوار بين أفراد من جميع المشارب.

ولكن مدن اليوم والغد تواجه أيضا تحديات جديدة لم تشهد لها مثيلا. فبالرغم من كونها تمتد على 2% فقط من مساحة اليابسة، فهي تستهلك 60% من الطاقة، وتطلق 75% من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري وتنتج 70% من النفايات على الصعيد العالمي. ويُشكّل توسّع المدن تهديداً للتنوع البيولوجي، كما يمثل عامل ضغط على البنية التحتية والموارد الحضرية (مياه، وسائل نقل، طاقة كهربائية)، وهذا من شأنه أن يزيد من تأثير الكوارث الطبيعية والتغير المناخي. أما التنمية بدون تحكم والسياحة المكثفة، فهي تعرض للخطر مواقع التراث الثقافي والممارسات التقليدية الحية. إن تفاقم الفوارق والهجرة، نتيجة النزاعات والكوارث في أغلب الأحيان، جعل من المدن بؤرا لنوع جديد من الانقسامات الاجتماعية، والإقصاء والتمييز.

ونظراً لضخامة هذه التحديات، استنتجت العديد من المدن في العالم أنه لا سبيل لها في التقدم إلا من خلال تغيير طرق التفكير، وتعزيز مشاركة السكان وإرساء التعاون في ما بينها. وتُشاطر هذه الرؤية منظمة اليونسكو التي تعد خمس شبكات للمدن، جميعها على عزم لاستغلال الصفات التي تتميز بها المدينة، ألا وهي القدرة الهائلة على الابتكار والاتصال.

تساهم المدن بنسبة 70% في الاقتصاد العالمي، منها قسط كبير في مجال الاقتصاد الإبداعي الذي يدر عائدات سنوية تبلغ على المستوى العالمي 2250 مليار دولار، ويشغّل أكبر عدد من الشباب مقارنة بأي قطاع آخر. لهذا السبب، تسعى المدن الأعضاء في شبكة اليونسكو للمدن الإبداعية، وعددها 180، إلى استغلال قدرة المدينة على اجتذاب المبدعين لتحفيز النمو الاقتصادي، وتعزيز الشعور بالانتماء إلى المجتمع وحماية الهويات الحضرية. أما الشبكة العالمية لمدن التعلم التابعة لليونسكو، فهي تهدف إلى ضمان استدامة المدن من خلال توفير فرصة التعلم مدى الحياة للجميع. من تعلّم ركوب الدراجة للمساهمة في سلامة البيئة الحضرية، وإعداد بعض المنتجات المحلية حسب الطرق والمعارف التقليدية، إلى تنظيم ورشات لفن المسرح لصالح التجمعات في الأحياء الفقيرة، فإن كل فرصة جديدة للتعلم تأتي بما تكنه من قدرة على دفع التحول الاجتماعي والتنمية.

باعتبارها إحدى أهم مخابر الأفكار في العالم، تبذل منظمة اليونسكو كل جهدها لجمع شبكات المدن، وتشجيعها على التعاون والتبادل حتى ترسم معا السياسات والممارسات الكفيلة بالاستجابة للاحتياجات المتزايدة لسكانها. وكما لاحظ الصحفي الحائز على جائزة بوليتزر، هيرب كاين، «*لا يُنظر للمدينة من حيث طولها أو عرضها، وإنما من حيث اتساع رؤيتها وعلو أحلامها*». اليونسكو على يقين من أن المدن، لما تتقاسم أحلامها في ما بينها وتَستلهم من رؤية بعضها البعض، سوف تكون قادرة على رفع تحديات هذا العصر الحضري الجديد المفتوح أمامنا.

هذا العدد من *رسالة اليونسكو* يعج بِقصَص الإبداع والابتكار والمرونة. آمل أن تكون مصدر إلهام لكم، بل وربما تدفعكم إلى المساهمة في الأخذ بزمام هذه المسائل سواء في مدينتكم أو مجتمعكم.

أودري أزولاي،
المديرة العامة لليونسكو

© Fabrice Clapiès

مدينة محتملة، تصميم حضري خيالي من رسم الفنان الفرنسي فابريس كلابياس.

المحتويات

35-6

زاوية كبرى

7 **وارسو المتمرّدة**
يوانا لاسير

10 **الترحيب بدلا عن المعاداة**
غابريالا نيفيس دي ليما

12 **شطارة وإبداع في شوارع كينشاسا**
سيلفي أييمبام

14 **روسيا:**
مدن تتحول نحو اقتصاد متنوع
إيفان نستيروف

17 **هافانا:**
ما يقتضيه القلب، تحققه اليد
ياسمينا شوبوفا

18 **أوسيبيو ليال: هافانا، حبيبتي**
أجرت الحوار ل. إ. كونتز

21 **الفن يقتحم الشارع**
مهدي بن الشيخ يجيب على أسئلة
أ. البراق

24 **المدينة، خيمة سيرك مُرصّعة بالنجوم**
توما ب. ريفردي

28 **تحت إشراف اليونسكو...**
شبكات تجمع بين المدن

43-36

زوم

حتى يعمّ النور
كل أرجاء العالم!
الصور:
روبان سالغادو إسكوديرو
النص: كاترينا مركيلوفا

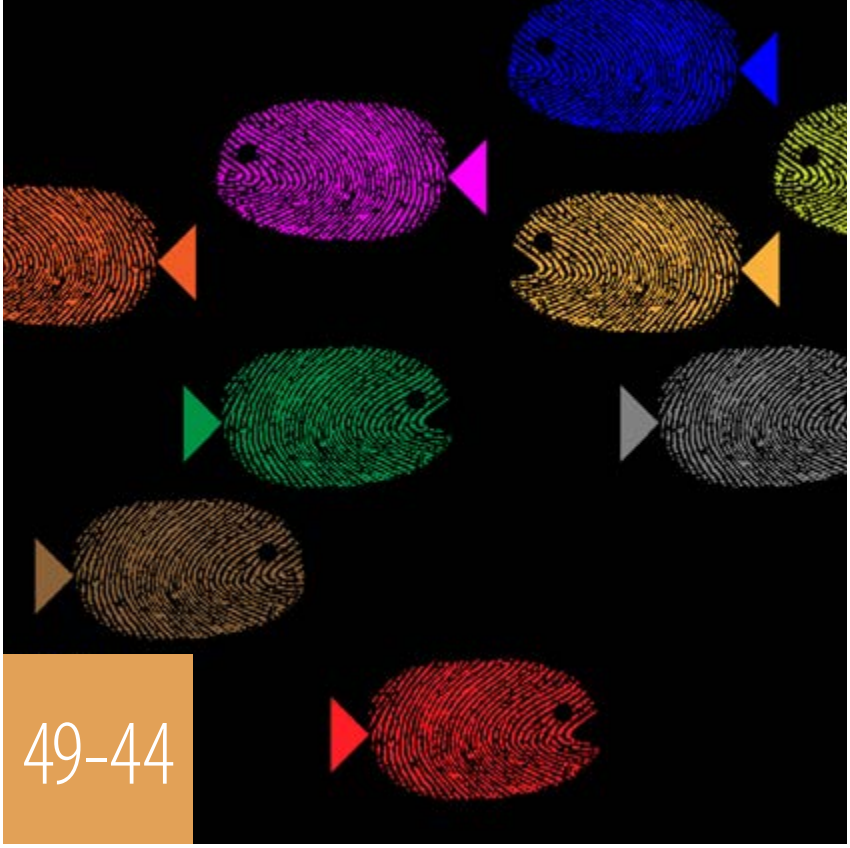

49-44

في هذا العدد

تمثل المدن دائما مراكز السلطة، والجاذبية، والازدهار. إلا أن التوسع الحضري دون قيد خلال العقود الأخيرة، أصبح يُهدّد دورها التاريخي كفَضاءات للاختلاط على كل الأصعدة. وكلّما ازداد عدد سُكّانها، تقلص بعدها الإنساني: عنف، لامساواة، تمييز... وتنتشر فيها هذه الآفات بقدر ما يكبر حجمها.

ورغم ذلك، في الوقت الذي تفقد فيه هذه المدن بعدها الإنساني، فهي تتجدد باستمرار. من الشطارة كاستراتيجية للبقاء في كينشاسا (جمهورية كونغو الديمقراطية) إلى المشاريع الوطنية الكبرى لإعادة تأهيل المدن ذات الصناعة الواحدة في روسيا، ومن المبادرة الشخصية لصاحب رواق فني أخرج مدينة الرياض (تونس) من سباتها إلى تعبئة الجماهير ضد الاستيلاء المُتسلّط على الفضاء العمومي في وارسو (بولندا)، ومن حركات التضامن مع المهاجرين في لندن (المملكة المتحدة) إلى التآزر الذي أنعش قلب هافانا (كوبا)، تبرز قوى خلّاقة وتنتظم لتُعطي للحياة الحضريّة معاني جديدة وتفتح أمامها آفاقا أخرى. وقد نعتبر أن كل هذه الأمثلة ليست إلا بعض «المقاومات الضئيلة»، حسب عبارة الكاتب الفرنسي توما ب. ريفردي، لكنها هي التي تُحدث الفارق.

و في هذا العدد، يعرض كاتبان آخران وجهات نَظرهما للقراء. يحدّثنا **ضيفنا**، الفرنسي-الكنغولي آلان مابانكو، عن «وجوه أفريقيا المتنقلة» وعن الشجاعة التي تتطلبها الكتابة، مُلاحظا وجود فترات مُتناقضة في تاريخ الاستعمار. أما خورخي ماجفود، الكاتب الأمريكي أصيل أورغواي، فهو يُندّد بالموقف العنصري ضد المهاجرين، في ركن **أفكار** الذي يقترح كذلك تحليلا لِسياسات الهجرة في الولايات المتحدة.

وفي ركن **الأحداث**، ننشر بمناسبة اليوم العالمي لأفريقيا (25 مايو)، حديثا مع تشيليدزي ماروالا (أفريقيا الجنوبية) حول بروز الذكاء الاصطناعي في هذه القارّة. واحتفالا باليوم العالمي للتنوّع البيولوجي (22 مايو)، نؤدي زيارة لغران باخاتان، في البيرو، مع رلدان روخاس باريداس الذي بادر بتسجيل هذا الموقع في شبكة محميات المحيط الحيوي لليونسكو. كما نزور الشارقة، بالإمارات العربية المتحدة، وهي تطلق برنامجها كعاصمة عالمية للكتاب اعتبارا من أبريل 2019.

وأخيرا، وفي ركن **زوم**، نتجول في الهند، والمكسيك، وميانمار، وأوغندا، في الأماكن المحرومة من الكهرباء. رحلة صغيرة حول العالم، كلها نور!

53-50

ضيفنا

آلان مابانكو: وجوه أفريقيا المتنقلة

أجرت المقابلة أ. بواسونيي

أفكار

45 **العنصرية لا تحتاج للعنصريين**

خورخي ماجفود

48 **الوجه الآخر للتعامل مع الهجرة**

كاثرين ليفين آينشتاين

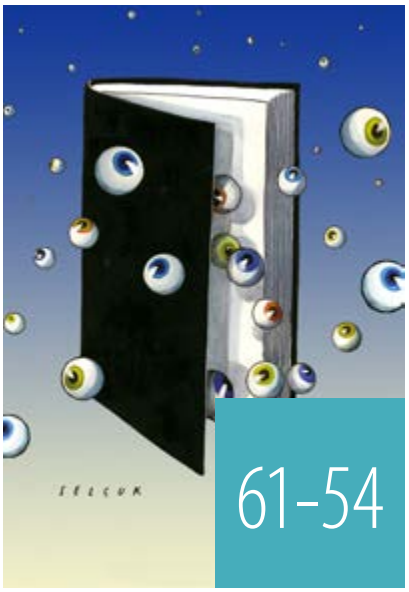

61-54

الأحداث

55 **افتح كتاباً، تفتح أذهاناً**

غالية خوجة

56 **الذكاء الاصطناعي على أبواب أفريقيا**

تشيليدزي ماروالا يجيب على أسئلة إ. نايدو

58 **المعجزة الرواندية**

ألفونس نكوسي

60 **غران باخاتان، قلعتنا الجغرافية**

رلدان روخاس باريداس يجيب على أسئلة و. نافاريت

زاویۀ کبری

SELÇUK

© Selçuk Demirel

وارسو المتمرّدة

بقلم يوانا لاسير

ردا على تصاعد النزعة المحافظة، يبرهن حراك المجتمع المدني التقدّمي في وارسو على قدرته على الاحتجاج والدفاع عن القيم الديمقراطية. في تلك العاصمة «المتمرّدة» التي طالما عانت من الاحتلال، والإهانة، والتدمير، والتي صمدت في مراحل شتى من تاريخها، تتواصل عملية إعادة البناء، في بحث مستمر للاستكمال.

© Jaap Arriens / NurPhoto

مسيرة في شهر نوفمبر 2018 في المدينة العتيقة بوارسو، للاحتفال بمرور 100 سنة على حصول النساء على حق التصويت في بولندا.

وارسو ليست ما يُسمّى عادة بالمدينة الجميلة. هي لا تعرض بهاءها لمن يزورها على عجل، كما هو الشأن بالنسبة لكراكوف، عاصمة بولندا السابقة. وارسو، المدينة ذات المائة فارق من اللون الرمادي، جلبت الأجيال الشابة بعد سقوط النظام الشيوعي سنة 1989. فتهافت عليها الشباب واحتلّوا المصانع المهجورة وحوّلوها إلى فضاءات للإبداع الفني. كما دافعوا عن النمط المعماري للعهد الشيوعي أمام الضغط الذي سلطه الباعثون العقاريون الجدد. وعلى سبيل المثال، لا زال قصر الثقافة والعلم، الذي تبرع به الرفيق ستالين والذي اكتمل تشييده سنة 1955، قائما وسط المدينة إلى يومنا هذا، رغم وجود العديد من المعارضين. كانت تلك البناية الشاهقة التي لا تضاهي عظمتها إلا الكراهية التي يكنها لها سكان وارسو، والتي تفوق مساحتها 800.000 متر مكعب، فضاء ثقافيا مُتعدّد الاختصاصات يضمّ متاحف، وقاعات مؤتمرات، وورشات، ومسارح وقاعات سينما.

خلال الثلاثين سنة الأخيرة، انتشرت هنا وهناك في وارسو ما بعد الشيوعية، أماكن جديدة للقاء بأعداد لا تُحصى– أروقة، نوادي، حانات – تجلب بشكل متزايد الطلبة، وإطارات الشركات الدولية، والفنانين والمغامرين الوافدين من كل أرجاء العالم.

وما عليك إلا أن تطوف المدينة كي يغمرك الشعور بالطاقة التي تحركها، وأن تنقاد في زواياها ذات الطابع غير المألوف حتى تلاقي، صدفة، في مكان ما، مجموعة من المتظاهرين، وأخرى من المعتصمين، وربما يعترضك مدّ بشري هائل من المحتجين، حاملين اللافتات والمعلقات.

لقد أصبحت المسيرات الصامتة والاستعراضات الصاخبة مشهدا متواترا في وارسو. تختلط الورود البيضاء باللباس أسود، وبالشموع والمفرقعات... تحت أمواج من الأعلام البيضاء والحمراء. ولكن، بينما يرفع البعض أيضا العلم الأزرق الأوروبي المُرصّع بالنجوم، يهتف آخرون بالأسود أو بالأخضر الذين يمثلان الوطنيين القوميين وحنينهم إلى *«بولندا العظمى من البحر إلى البحر»*. وبينما يُنادي البعض بشعار *«حتى لا نترك الديمقراطية تموت في صمت»*، يطالب آخرون بـ*«بولندا نقيّة»* و*«بولندا بيضاء»*.

ذلك هو التناقض الوطني الذي أخذ في السنوات الأخيرة منعطفا في اتجاه قطيعة حقيقية بين بولنداتين اثنتين تتحدى أو تتجاهل إحداهما الأخرى. وتتجلّى هذه القطيعة على الساحة العمومية، بالمعنى الحقيقي وبالمعنى المجازي على حد السواء.

مدينة العصيان

تتبلور المواجهة في أغلب الأحيان أمام القصر الرئاسي الذي مثل، لحد شهر أبريل 2018، نقطة وصول الموكب الديني الذي كان ينطلق في اليوم العاشر من كل شهر من المدينة العتيقة ـ محفوفا بالصلوات، والأناشيد، والخطب ـ لتخليد ذكرى ضحايا كارثة سمولنسك التي جدّت يوم 10 أبريل 2010. في ذلك اليوم، ذهبت حوالي مائة شخصية مرموقة من بينها الرئيس ليخ كاتشينسكي، ضحية حادث طائرة. ومنذ ذلك الحين، تكررت مراسم تخليد ذكرى الضحايا، بعد أن تم رفعها إلى مستوى حدث وطني، 96 كرة. وكان الموكب، في كل مرة، يكتسح وسط مدينة وارسو التاريخي، ويجلب حشودا من المواطنين المحتجين على ما يعتبرونه استيلاء تسلّطيا ودينيّا على الفضاء العمومي.

تجذّدت المعارضة المدنية ضد الانحراف القومي منذ 2015 ملتفة حول لجنة الدفاع عن الديمقراطية. وتذكيرا بيوم 13 ديسمبر 1981، ذلك التاريخ المشؤوم الذي أعلن فيه ياروزلسكي حالة الحرب في بولندا، دأب عشرات الآلاف من الأشخاص على التظاهر في وارسو كل سنة.

© John Bob & Sophie Art

وفي سنة 2016، انتظمت أكبر مظاهرات احتجاجية عرفتها البلاد منذ الانتخابات الحرة الأولى عام 1989، عبّر خلالها سكان وارسو، وأيضا مواطنون وافدون من مدن أخرى، عن رفضهم لانتهاك الدستور، والمؤسسات وحقوق المواطنين وخاصّة منهم النساء.

و تحتل النساء الصفوف الأولى في كل المسيرات المدنية، كرمز واقف في صدارة هذه الحركة المواطنية، وكعنصر موحد لجزء كبير من المجتمع. وقد تظاهرت النساء بأعداد كبيرة، سنة 2016، احتجاجا على مشروع قانون يمنع تماما وضع حد للحمل بصفة طوعيّة. وكان ذلك المشروع يرمي إلى تشديد القانون ساري المفعول آنذاك الذي لا يسمح بوضح حد للحمل إلا في حالات وجود تشويه خطير عند الجنين، أو خطر على صحّة الأم، أو اغتصاب أو زنا بالمحرمات. ونجحت المتظاهرات، هذه المرّة، في تحقيق مسعاهن. إلا أنه، وفي 11 نوفمبر 2018، وبينما كنّ يجلسن على جسر بونياتوفسكي لسدّ الطريق أمام القوميين، تمّ إجلاؤهنّ بالقوّة، ثم دعوتهنّ للمثول أمام العدالة بتهمة منع حرّية التظاهر.

وفي 11 نوفمبر من كل سنة، خلال مسيرة الاستقلال، يتجدد نفس المشهد: عدد ضئيل من النساء يرفعن لافتات *«نساء ضد الفاشيّة»*، يتعرضن لسوء المعاملة العنيفة من طرف عشرات من الرجال مرتدين ثيابا أسود ورافعين شعارات عنصرية معادية للأجانب وللسامية، تتخللها عبارات بذيئة تتّسم بالتمييز الجنسي.

نفس الازدحام أمام المسارح. فبعد كل عرض لمسرحية مثيرة للجدل لأنها تُعارض القواعد المُقدّسة *«للانتماء إلى بولندا»*، يستعدّ مسرح باوزكني من جديد لمواجهة أحداث شغب تُنظّمها فصائل صغيرة من أقصى اليمين. هذا المسرح الذي كان أول مسرح يفتح أبوابه بعد الحرب العالمية الثانية، يمثل إلى جانب المسرح الجديد كريزتوف فارليكوفزكي وبعض الفضاءات المسرحية الأخرى المشهورة في البلاد، رمزا للنضال من أجل الحرية الفنية التي تزعج السلطات الاستبدادية.

هل هذا من باب الصدفة؟ لقد انطلقت الثورة الطلابية لسنة 1968 في بولندا ـ وتمثل تلك الثورة إحدى محطات النضال من أجل التحرّر من الاضطهاد السوفياتي ـ إثر سحب أثر خالد من قائمة عروض المسرح الوطني بوارسو، «الأجداد» للمؤلف آدم ميكيوفيتش.

هكذا تسير الحياة بين الهزائم واسترجاع المواقع، في هذه المدينة المدهشة التي تستمد حماسها وطاقتها من مخزونها البشري.

مدينة لا تُقهر

هذا النفس، نفس التمرّد والحريّة، ليس بالجديد على وارسو. هل هو مستلهم من نهرها العصي؟ نهر فيستولا، بواديه الواسع المنحدر الذي يمنع ضفّته اليمنى من الاقتراب من ضفّته اليُسرى، يبقى مُتهوّرا ومُتوحّشا. وهو الذي يُضفي على المدينة طابعا خاصا، بما يُحيط به من رمال وأدغال.

حافظت وارسو طويلا على طابعها الريفي. وبدأت تتطور منذ 1915، تحت حكم الألمانيين الذين استرجعوا المدينة من روسيا أثناء الحرب العالمية الأولى. ورغم ما عانته من استغلال اقتصادي فاحش من قبل المستعمر، كانت المدينة مفعمة بعزيمة قوية وأمل كبير، فتم تنظيم انتخابات بلدية، وفُتحت الجامعة ومدرسة بوليتكنيك، وبدأت المدينة تتأهب لتقمص دورها كعاصمة لدولة مستقلة، وقد نالت تلك المرتبة إبان انتهاء الحرب في عام 1918.

طيلة العشرين سنة التي تلت الاستقلال، عمت ورشات البناء كافة أرجاء وارسو. كان ذلك أثناء ولاية الماريشال بلسودسكي الذي كان محبوبا بقدر ما كان محل جدل. وفي حدود 1939، أصبحت وارسو شبيهة بعواصم أوروبية أخرى: لها وسط مدينة أنيق ومناطق عديدة يقطنها العمال الذين يُمثّلون نصف سُكّانها. كما يُوجد بها حيّ يهوديّ كبير يتّقد حيويّة يغطي ثلث مساحتها ويمتدّ من وسط المدينة إلى شمالها.

عندها، أخذت قنابل الاجتياح الهتلري تتساقط على المدينة، لحين القضاء عليها في أكتوبر 1944. كان هتلر عازما على جعلها مثالا للإبادة التامّة، إثر عصيان جيش المقاومة البولونية في شهر أغسطس 1944. فدُمّرت الضفة اليمينية بشكل شبه كامل، وتمّ ترحيل السكان الذين بقوا على قيد الحياة. ولم تعد وارسو سوى حقل شاسع لآثار الدمار، وبدأ الشك يحوم حول إمكانية إعادة الإعمار، نظرا لشدّة هول المهمّة.

أمام القصر الملكي في وارسو في يوليو- أغسطس 2017، مسيرة مضادة للتظاهرات المخصصة كل شهر لإحياء ذكرى كارثة سمولانسك.

إلا أنه، اعتبارا من يناير 1945، بدأت تتوافد على ضفّتي فيستولا أفواجا من العائدين الذين فقدوا مساكنهم. فأخذوا في نبش الأنقاض المغمورة بالجليد. وهكذا، شرعوا من تلقاء أنفسهم، في عملية إعادة البناء التي تحوّلت في ما بعد إلى إنجاز استثنائي لأمة بأسرها. ومن حسن الحظ أن مكاتب ومعاهد الهندسة المعمارية قد أنجزوا خلسة، خلال الاحتلال النازي، جردا للعمارات التاريخية. لم يتلف كل شيء. ساحة السوق، ومنازل المدينة، ودائرة الأسوار، والقصر الملكي وعدة بنايات دينية هامّة «*للمدينة التي لا تُقهر*» ـ كما كانت تسمّى وارسو آنذاك ـ كلها بعثت فيها الحياة من جديد في هبّة وطنية توحيدية، شجعتها الدعاية الشيوعية. ممّا جعلها تستحق التسجيل على قائمة اليونسكو للتراث العالمي. وقد حافظ أرشيف مكتب إعادة بناء وارسو على أثر تلك الحقبة المشهودة، وتمّ إدراجه في سجل ذاكرة العالم في سنة 2011.

> *هكذا تسير الحياة بين الهزائم واسترجاع المواقع، في هذه المدينة المدهشة التي تستمد حماسها وطاقتها من مخزونها البشري*

مدينة كالرق الممسوح

حقبة أخرى من التاريخ الخالد لمدينة وارسو: الغيتو. من لم يسمع بانتفاضة غيتو وارسو، في ربيع 1943 وصموده الحازم-اليائس! ولكن من يعرف بالتحديد موقع هذا المكان الضخم المقفل، الذي لا يضاهي حجمه أي مكان آخر من نوعه في أوروبا، في ظل الاحتلال النازي؟ تم تطويقه في سنة 1940، وتمّت إزالته من الخريطة سنة 1943. لحد أن سكان وارسو ليس لديهم فكرة واضحة عنه، بسبب تحريم الكلام عنه خلال عشريات النظام الشيوعي. عند تحرير المدينة، لم يبق سوى بعض مخلّفات الجدران التي كانت تطوقه على طول ثمانية عشر كلم وعلى ارتفاع عدّة أمتار. كان يقال أنه يُوجد في... مكان ما، شمال قصر الثقافة...

تم تشييد وارسو جديدة على أنقاض المدينة اليهودية، التي كادت تنقرض ذكراها مع وفاة ما بين أربع مائة و خمس مائة ألف من سكانها، لولا بقاء أحدهم على قيد الحياة. إسمه هارس واسر. كان مساعدا للمؤرخ إيمانويل ريجلبلوم الذي استبسل، صحبة ستين من أصدقائه، في جمع أرشيف الغيتو حيث كانوا يعيشون خلال الحرب العالمية الثانية. وخلال الفترة ما بين 1946 و1950، تمّ استخراج ما لا يقل عن خمسة وعشرين ألف صفحة، مُبوّبة بعناية في صناديق حديدية، من تحت الأنقاض.

وأُدرجت هذه الوثائق الفريدة، التي تمّ جمعها في السرّية المطلقة، في سجل ذاكرة العالم لليونسكو، مباشرة بعد سقوط النظام الشيوعي، سنة 1989.

لقد شيد إيمانويل ريجلبلوم وفريقه جسرا بين العدم والمستقبل، وتحدوا كل الممنوعات حتى يتركوا لنا شهادات حول التنظيمات السرية، وقائمات المُبعدين، وحوليات الأحداث، وآثارا أدبية، وأعمالا فنّية، ومذكرات شخصية، ورسائل خاصّة... كشفت عن أول توصيف دقيق لمعسكرات الإبادة في شلمنو وتريبلينكا. بفضلهم، تمكّن فريق من الباحثين والكُتّاب المعاصرين من إعادة تشكيل الحي المفقود بأدق تفاصيله، على الورق على الأقل.

وارسو بمثابة الرق الممسوح، تكتب تاريخها على صفحات الماضي، دون محوها تماما. هي فسيفساء شاسعة تتجدّد باستمرار في الزمان والمكان، تنبض بتدفّق الطاقات البشرية والتيارات التي تَعبرها من وراء الحجر والاسمنت. لتبني وتُعيد بناء هويّتها القائمة على ذاكرة متمرّدة وعلى نسيان نافع.

يوانا لاسير، مهندسة معمارية خرّيجة مدرسة بوليتكنيك بوارسو وجامعة مارن لا فالي (فرنسا). ناشطة في العمل المدني في بولندا وفي فرنسا، بالتوازي مع مشاريعها المهنية في الهندسة المعمارية وفي تخطيط المدن والاتصال.

الترحيب بدلا عن المعاداة

بقلم غابريالا نيفيس دي ليما

أمام السياسة المناهضة للمهاجرين، أطلق سكان حيّ هارينجي بلندن حملة ترحيب خلخلت التشريعات البريطانية في مجال الهجرة. وبما أن باب التوافق يبقى دائما مفتوحا، أقام سكان الحي علاقات تعاون مع السلطات المحلية، بينما وفرت الحكومة المركزية دعماً مالياً للبعض من مشاريعهم. وهكذا، بدأت تتبلور فكرة العمل المشترك من أجل تحسين ظروف استقبال المهاجرين الوافدين.

منذ ظهور ما يُسمّى بـ«أزمة المهاجرين» في بداية السنوات 2010، تقف السلطات المحلية في الصدارة لضمان اندماج المهاجرين واللاجئين في أوروبا. وتعمل بعضها في إطار البرامج السياسية المُحددة من قبل الحكومة، والبعض الآخر بشكل طوعي. أما *هارينجي ويلكوم*، فقد اعتمدت منهجا تشاركيا، مع الاحتفاظ بوضعها كمنظّمة مُناضلة ومستقلّة يخول لها اتخاذ موقف مضاد، إذا ما اقتضى الأمر.

إلتزام معنوي ضد الظلم الاجتماعي

تعتمد *هارينجي ويلكوم* على مفهوم التضامن السياسي باعتباره، حسب تعريف الفيلسوفة الأمريكية سالي سكولز، واجبا معنويا إيجابيا يحفز على التدخّل بشكل جماعي أمام حالات الظلم أو الهشاشة الاجتماعية. وتبين لوسي نابيجو، منسّقة مجموعة السكان الذين أطلقوا الحملة، أن هذه الأيديولوجيا تقع على طرفي نقيض مع ما يُسمّى بسياسة المحيط المعادي، إذ أن الأمر يتعلق *«بخدمة التضامن والعدالة، والدفاع عن القيم، والدفع في اتجاه إعادة النظر في قانون سيّئ والبحث عن تعاون حقيقي مع السلطات المحلية بهدف تحسين الخدمات»*.

يُعتبر حي هارينجي من بين الأحياء الأكثر تنوعا في العالم من حيث تعدد أصول المقيمين، إذ تبلغ نسبة سكانه المولودين بالخارج 45%، ونسبة الذين استقروا فيه خلال السنتين الأخيرتين 5%. وجاء في تقرير المجلس المحلّي، المؤرّخ في 15 نوفمبر 2016، أن *«هارينجي فخورة بتقاليدها الثابتة في مجال استقبال طالبي اللجوء، واللاجئين أو الذين اختاروا الاستقرار في لندن. لقد استقرت فيه أجيال من جميع الأصول مما جعل من هارينجي أحد أكثر الأحياء انفتاحا وتنوّعا في المملكة المتحدة»*.

وفي تلك الفترة، قام مؤسسو *هارينجي ويلكوم* بخطواتهم الأولى، مطالبين بتطبيق البرنامج الحكومي للاستقبال الطوعي للاجئين السوريين في حيهم. وقد التزمت كلار كوبر، رئيسة المجلس المحلي آنذاك، بإعادة إيواء عشر عائلات سورية، لمنحها *«مسكنا آمنا والدعم اللازم لإعادة بناء حياتها»*.

إلا أنه، في نظر ل. نابيجو، من الواضح أن المجلس المحلّي يشكو من قلة الموارد المالية، والكفاءات، والتحاور مع السكان والتجمعات، ممّا يقلل من نجاعته. وهو ما حدا *بهارينجي ويلكوم* إلى اعتماد منهج تشاركي أثناء المفاوضات مع التجمعات المحلية، مع التأكيد على ضرورة إيجاد سبل جديدة للتواصل وإقامة علاقة مبنيّة على الثقة.

وتُؤكّد ل. نابيجو على أن الهدف ليس حث المستشارين المُنتخبين أو موظّفي المجلس المحلّي على مخالفة القانون الوطني، وإنما إقناعهم بضرورة العمل بأكثر شفافية ومسؤولية واستعمال أنجع للآليّات المُتاحة لتوفير الخدمات الملائمة للمهاجرين واللاجئين.

وعلى ما يبدو، فإن المجلس المحلي لهارينجي ماض في هذا الاتجاه. ففي سبتمبر 2018، أنشأ المجلس برنامج كنكتد كومونيتيز (التجمعات المُتّصلة) الذي يهدف إلى تحسين الدعم المحلي للمهاجرين في مجال التشغيل، والسكن، وتعلّم اللغة الانجليزية، واستقبال الأطفال والتمكين المجتمعي. وإن كانت ل. نابيجو تحيي هذه المبادرة، إلا أن لديها تحفّظات إزاء اختيار نشاط ذي بعد محلّي بَحت، وإزاء قابلية استمرار المشروع في حال الإبقاء على طريقة التمويل الحالية، بالإضافة إلى قدرته على بلوغ مجموعات من المهاجرين أكثر هشاشة.

كما ساند أعضاء المجلس عريضة قدّمتها *هارينجي ويلكوم* في نوفمبر 2018، وهو حدث مهم إذ أتاح الفرصة *«لوضع كل الإشكالات على طاولة الحوار وإعادة التفكير في التسيير المحلّي»*، حسب ل. نابيجو.

علاقات اجتماعية مُهدّدة

إن إعادة هيكلة التسيير المحلّي أمر ضروري باعتبار التقلبات العميقة التي تشهدها العلاقات الاجتماعية. ذلك أن السياسة المُسمّاة بسياسة المحيط المعادي، وهي سياسة تستهدف بالأساس المهاجرين غير الشرعيين وترمي إلى ردع تجاوز الحدود الاقليمية، لها في الواقع تداعيات على مجمل السكان. إن السياسات المُعتمدة في مجال الهجرة تُشرّك في عمليات مراقبة الحدود وإدارة الهجرة، ليس فقط وزارات مختلفة ومؤسسات محلّية، وإنما أيضا القطاع الخاص والمواطن البسيط. تقام الحدود أيضا داخل البلاد. كل جوانب الحياة الاجتماعية هي محل مراقبة وقابلة للإبلاغ، مما يزيد في مخاطر الطرد. وبالتالي، يتمّ إثناء المهاجرين وطالبي اللجوء عن الحصول على الخدمات الأساسية.

أصحاب المحلات السكنية مُجبرون على التثبّت من أن المُستأجرين يحملون رخصة للإقامة في البلاد، وعلى الاحتفاظ بوثائق الاثباتات، وإن لم يفعلوا يتعرضون لخطيّة مالية أو السجن لمدّة أقصاها خمس سنوات. وبعد إعادة تصنيف صفة «مقيم عادي»، تم تشديد شروط الحصول على الرعاية الصحية المجانية، وأصبح المهاجرون المُؤقّتون من غير الأوروبيين مُجبرين على دفع ضريبة إضافية سنوية طيلة إقامتهم. كما فرض على المدارس، بين سنتي 2016 و2018، مدّ الدولة بمعلومات حول الأطفال من عائلات المهاجرين. وتمّ توقيف جمع المعطيات بعد إطلاق حملة احتجاجية تتواصل حاليا للمطالبة بإتلاف تلك المعطيات.

«هذا الوضع هو بمثابة المراقبة اليومية للحدود، حيث يجد كل مواطن عادي نفسه مضطرا على الإختيار بين أن يكون حارسا للحدود أو مهربا». هذا ما استنتجته ثلاث باحثات بريطانيات ــ نيرا يوفال-دايفيس، وجيورجي ويميس وكاترين كاسيدي ــ اهتمّمن بموضوع تغيير وجهة القوانين الإنجليزية المتعلقة بالهجرة. أي فرد، سواء كان قريبا أو صديقا أو جارا يمكن أن يتحوّل إلى مُبلّغ. وترى عالمة الأنثروبولوجيا الليتونية دايس دزينوفسكا أن ذلك يفتح فجوة لإقحام الخلافات الشخصية في مسألة الدفاع عن الحدود. وتتسبب هذه الممارسات في اضطراب العلاقات الاجتماعية والسياسية، بما تولده من خوف، وشبهات وتوتّر صلب المجموعات، مُهدّدة التضامن والوئام بين المتساكنين. ويجدر التذكير أيضا بأن هذه السياسات تؤثر أكثر في بعض الفئات الاجتماعية (بالخصوص تلك القائمة على الانتماء العرقي أو الطبقي أو الجنسي)، وفي ذلك دليل على الهشاشة النسبية لحقوقها.

تضافر الجهود

في هذا الإطار، ترغب *هارينجي ويلكوم* في المساهمة في تغيير العلاقات الاجتماعية على أرض الواقع، من خلال إنشاء شبكات تضامنية صلب الحيّ. وعلى سبيل المثال، قامت المنظمة بتحسيس المدارس لدى تداعيات المحيط المعادي. كما حصلت على مساندة تجمعات محلية أخرى ومنظمات الدفاع عن المهاجرين حتى تتضافر جهودها من أجل تحسين ظروف الاستقبال في الحي.

وتسعى *هارينجي ويلكوم*، من خلال ربط مثل هذه العلاقات، بالإضافة إلى العمل مباشرة مع المستشارين المُنتخبين وموظّفي الدولة، إلى إرساء شكل من التعاون بين فاعلين مُتعدّدين، يجمع كافة الجهات المعنية. ومن بين الوسائل المُتوخّاة للوصول إلى هدفها، طلب التمويلات لعمليات الاندماج من صندوق مراقبة الهجرة لدى وزارة الإسكان، والتجمّعات والحكومة المحلّية، وتكوين فريق عمل يتألّف من المستشارين المحليين، ومن منظمات المهاجرين وخبراء مختصين في القانون لوضع استراتيجية لفائدة المهاجرين، وخاصة منهم المجموعات ذات الوضع الأكثر هشاشة.

وبقطع النظر عن الساحة السياسية، ترى ل. نابيجو أن آثار حملة *هارينجي ويلكوم*، وإن كانت جانبية، فهي تبقى آثارا أساسية، وتقول: *«بفضل هذه التعبئة، يتعرف السكان على جيرانهم، ويلتقون بأشخاص لم يكونوا يعرفونهم، ويكتسبون أكثر معلومات حول الوضع، فيبعث فيهم كل ذلك شعورا قويّا بالانتماء المشترك يدخل تغييرا على المكان الذي تعيشون فيه»*.

غبريالا نيفيز دي ليما، أخصّائية برازيلية في العلوم السياسية وباحثة مساعدة في قسم الجغرافيا والبيئة في *لندن سكول أوف إيكونوميكس أند بوليتيكل ساينس* (معهد لندن للاقتصاد والعلوم السياسية) بالمملكة المتحدة. وقد شاركت في الكتاب الصادر عن اليونسكو عام 2016 تحت عنوان «مدن تستقبل اللاجئين والمهاجرين: تحسين الحوكمة في المناطق الحضرية في عصر الهجرة».

عمل فني من إنجاز تلاميذ روضة الأطفال ستيرانبوس بمدينة هام (بلجيكا)، أحرز على إشادة خاصة خلال المسابقة العالمية لشبكة المدارس المشاركة لليونسكو «فتح القلوب والأذهان أمام اللاجئين»، 2017.

© UNESCO / Pataphonique Productions

شطارة وإبداع في شوارع كينشاسا

بقلم سيلفي أييمبام

إن كنت فقيرا، كيف لك أن تعيش في ظل أزمات اقتصادية واجتماعية متتالية وطويلة الأمد؟ *«دبّر أمرك!» هذا هو شعار سكان كينشاسا، في جمهورية كونغو الديمقراطية، الذين لا يفوّتون فرصة لاستغلال براعتهم لابتكار مهن جديدة. في أسواق هذه المدينة العظمى وشوارعها، انتشرت أعداد لا تحصى من أصحاب مهن غير مألوفة، من «روماني»، و«شحّان» و«قنّافي»*، لسد ثغرات النظام.

ها نحن في جمهورية كونغو الديمقراطية، في وسط العاصمة كينشاسا. يجلس ثلاثة شبان من مسّاحي الأحذية على أحجار أمام مدخل إحدى المدارس، ومعهم معدات مختلفة: كراسي، ومساند للأقدام، وفرشات وممسحات. على مقربة منهم، شاب آخر يركز اهتمامه على مراقبة شبكة للشحن الكهربائي صنعها بذكاء حسب الإمكانيات المتاحة: لوحة خشبية صغيرة مجهزة بعدة مناشب للتيار، موصولة بأسلاك كهربائية منبثقة من الأرض، آتية من قاعدة مصباح عمومي مُعطّل. هذا الشاب يدعى *شارجير* (شحّان).

وإن كان مسّاحو الأحذية يشكلون منذ أمد بعيد جزءاً لا يتجزأ من المشهد الحضري، فإن شحّاني البطاريات ظهروا بالتزامن مع الهواتف المحمولة. في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، كانت مدينة كينشاسا تعج بوحدات إنتاج صغيرة الحجم: مصانع أحذية أو دهن، ومحلات نجارة ومصوغ، وورشات نسيج أو صباغة... كانت تلك الوحدات تنتصب خاصة في الفناء الخلفي للعمارات، وتتكاثر بسرعة فائقة. ومنذ منتصف التسعينات، انتشرت أنشطة التجارة والخدمات وأصبحت تحتل واجهات الشوارع.

إن العيش في كينشاسا، بين سكانها الذي يبلغ عددهم أحد عشر مليون نسمة، يقتضي بالضرورة التعويل على النفس. ذلك أن الأزمة الاقتصادية، وقصور الدولة والمرافق العمومية، وندرة مواطن الشغل مدفوعة الأجر تُجبر سكان المدن على كسب رزقهم من خلال ممارسة أشكال متنوعة من الأنشطة الفردية المتواضعة أو اللجوء إلى أية وسيلة أخرى.

وفي محيط تأمه الفوضى والفقر المدقع، يصبح تدبير الأمور نمطا للحياة بالنسبة لسكان المدن الذين يستغلون كل مهاراتهم في هذا المضمار، حيث أنهم، وخاصة منهم الشباب الذين يشكلون أكثر من نصف سكان مدينة كينشاسا، جعلوا من الاعتماد على النفس لتدبير أمورهم ركيزة لكافة الاستراتيجيات التي من شأنها أن تضمن لهم موارد العيش.

الضرورة تولد الإبداع

على غرار هؤلاء الشحّانين، الذين يسدّون نقائص نظام توزيع الكهرباء في المنازل في عصر تلاقي فيه الهواتف المحمولة نجاحاً باهرا، يبتكر غيرهم من سكان المدينة مصادر أخرى لضمان مداخيلهم، مستغلين قدراتهم الذاتية وأدنى الفرص المتاحة لإثبات الفائدة من خدماتهم، فيبعثون أنشطة تلبي شتى الاحتياجات، اعتمادا على وسائل في منتهى البساطة.

ويكفي توفير بعض المعدات – طاولة، ومقعد، وبعض أواني الطبخ وكمية من الفحم – لإنشاء *ماليوا* (مطعم متواضع)، حيث يمكن تناول وجبة بأقل الأثمان مقارنةً بأماكن أخرى، حتى وإن كان مستوى النظافة متدنياً في بعض الأحوال. وما العمل لما تكون الحافلات مكتظة؟ لا بأس ! لأن *الويوا* (درّاجات نارية بالأجرة) متوفرة لنقل الركاب. ولما تغمر مياه الأمطار الشوارع؟ الحمّالون على الظهر حاضرون لمساعدة المارة على عبور الطريق. وغير هؤلاء كثيرون، من بائعي قطع الغيار المستعملة، ومصلّحي الهواتف، وبائعات المياه المتجولات... كلهم على استعداد لتوفير المساعدة للجميع في أي وقت.

وبالتوازي مع ظهور هذه الأنشطة – وهي في أغلب الأحيان خدمات وساطة – برزت مصطلحات جديدة في اللغات المحلية. لقد تم سد الفراغ الناجم عن القصور في تنظيم البنية التحتية سواء كانت تابعة للقطاع العام أو الخاص، بانتشار أصناف متعددة من السماسرة والوسطاء الذين يعرضون خدماتهم بصفة فردية أو مجتمعين في شبكات.

كينشاسا، المدينة-السوق.

في الشوارع والأسواق، وفي كل مكان تُعقد فيه الصفقات التجارية، بما فيها مواقف السيارات، ومفارق الطرق الرئيسية، ومحطات الحافلات والموانئ النهرية، يتولى الأمور كل من *الرومان* (المهربون عبر الحدود)، *والبانا كواتا* (جالبو الزبائن لمتاجر الملابس المستعملة)، *والشايير* (السماسرة لصالح تجار الجملة)، وكذلك *القنّافي* (بائعو الوقود في السوق الموازية)، *والشارجير* (جالبو الزبائن لصالح سيارات الأجرة والنقل الجماعي، الذين لا ينبغي الخلط بينهم وبين شحّاني البطاريات!)، *والكامبيست* (الصيارفة في الشوارع)، فضلاً عن *ماما مانوفر* (وسيطات تجارة المواد الغذائية في الموانئ النهرية).

المادة 15

في منتصف ثمانينات القرن الماضي، نالت أغنية *«المادة 15، بيتا ليبانغا»*، للفنان الكونغولي بيبي كالي (1951 ـ 1998)، نجاحاً كبيراً في جميع أرجاء القارة، ويعود ذلك، دون شك، إلى أنها تعكس صورة صادقة لظروف حياة الكثير من الأفارقة.

لكن المادة 15 ليست إلا مادة خيالية في دستور جمهورية كونغو الديمقراطية تنص على ما يلي: *«دبّر أمورك كي تعيش!»* وأصبح يعرفها كل *الكونغوليين* ويذكرونها يومياً. أما عبارة «بيتا ليبانغا» فهي تعني حرفياً *«عليك بكسر الحجر»*. لقد قام بيبي كالي بالتنبيه إلى أن تدبير الأمور ليس يسيرا.

ويهتف بيبي كالي في أغنيته بلغة لينغالا : *«المادة 15، أعزائي، دبّروا أموركم كي تعيشوا. شاهد المرفأ النهري: الحمالون ينقلون أعباء ثقيلة؛ شاهد مراقبي التذاكر في الحافلات: إنهم يصيحون من الصباح حتى المساء؛ انظر، لقد انتشرت المحلات الصغرى في كل أرجاء المدينة؛ شاهد سائقي سيارات الأجرة والحافلات: إنهم لا يتخلون عن المقود من الصباح حتى المساء؛ انظر إلى حالنا نحن معشر الوسيقيين: إننا نغنّي كي نكسب رزقنا؛ شاهد التلاميذ: إنهم يدرسون لبناء مستقبلهم»*.

غير أن المستقبل المأمول ما زال بعيداً، وفي انتظار بلوغه، لا خيار غير تدبير الأمور في كينشاسا، كما في العديد من المدن الأفريقية الأخرى. لقد أصبح تدبير الأمور نمطا للحياة، ومؤشراً للهوية الحضرية التي يتميز بها الفضاء الاجتماعي في كينشاسا.

أما الاقتصاد الموازي، الذي يُعزى انتشاره في المقام الأول إلى حالات النقص المزمنة، والفقر وعدم الاستقرار السياسي، فهو لا يخلو من التحيّل، والألاعيب والمخاطر، فضلاً عن النزاعات والعنف. غير أنه يحمل قيما اجتماعية، مثل التعايش، والتضامن، والاحترام والإخلاص. كما أنه يساهم، في نهاية المطاف، في تحقيق نوع من التعديل الذاتي للمجتمع.

وإن كانت، دون شك، المؤسسات منهارة، والإدارات متزعزعة، والمجتمع المدني مفكك، والتقاليد عاجزة، في ظرف لم تكتمل فيه الحداثة، فإن القدرة الإبداعية لتدبير الأمور في كينشاسا، التي تدل على روح الابتكار التي يتحلى بها الأفراد والجماعات، لا تزال مبهرة.

سيلفي أيمبام باحثة كونغولية ملحقة بمعهد العوالم الأفريقية في إكس ـ أن ـ بروفانس (فرنسا)، تخصص أعمالها أساساً في مجال الاقتصاد الموازي في المدن الأفريقية. من مؤلفاتها: «الاقتصاد القائم على تدبير الأمور في كينشاسا. الأنشطة غير الرسمية، والتجارة والشبكات الاجتماعية» (2014).

© Baudoin Bikoko

روسيا:

مدن تتحول نحو اقتصاد متنوع

بقلم إيفان نستيروف

تداولت الصحافة الدوليّة على نطاق واسع أزمة ديترويت. وسمعنا الكثير عن إفلاس هذه المدينة الأمريكية في يوليو 2013 ثم عن نهضتها، وهي المدينة التي راهنت بكل إمكانياتها على صناعة السيارات... وخسرت كل شيء. لم نسمع إلا القليل عن المدن الروسية ذات النشاط الاقتصادي الواحد التي لقيت نفس المصير. يبلغ عدد هذه المدن، التي تُسمّى أيضا المدن-المصانع، 319 مدينة في روسيا. كيف تجاوزت وضعها؟

نحن الآن في يوم 2 يونيو 2009. يعيش العالم واحدة من أقسى أزماته المالية. في الشمال الغربي لروسيا، الطريق السيارة الفدرالية الرابطة بين نوفايا لادوغا وفولوغدا مُعطّلة. حوالي 300 ساكن من قرية بيكاليوفو الصغيرة، في إقليم لينينغراد، [منطقة عاصمتها سان بيترزبورغ]، يُقيمون حاجزا في الطريق. لم يحصلوا على مُرتّباتهم منذ أشهر طويلة. المصانع الثلاثة التي ترتزق منها المدينة والتي تكوّن سلسلة إنتاج مُوحّدة، تحوّلت ملكيتها من الدولة إلى أيادي ثلاثة خواصّ: بازل سيمنت، ومجموعة أوروسيمنت، وفوساغرو. لكن المالكين الجدد لم يتفقوا على جملة من المسائل، وخاصّة منها سعر المواد الأولية، وحجم الإنتاج وآفاق التنمية. فبقي في تلك المدينة الصغيرة التي تعد 21.000 ساكن، 4.000 ساكن دون شغل.

وقد استوجب الوضع تدخّل الوزير الأول فلاديمير بوتين شخصيّا لحل الخلاف. فتحوّل إلى بيكاليوفو، يوم 4 يونيو، واجتمع بالمالكين الذين أمضوا، في آخر الأمر، على اتفاقيات تزويد بالمواد الأولية وعلى عقود على المدى الطويل. ووفر البنك الوطني ف.ت.ب [بنك التجارة الخارجية] المال الضروري لحل المشاكل المالية (رواتب الأجراء، ديون إزاء المُزوّدين وشاحني المواد الأوليّة). وانطلق الإنتاج من جديد.

إلا أنه من الواضح أن التدخّل الشخصي لوزير أول أو رئيس دولة لا يمكن أن يمثل نموذجا دائما لحل الأزمات. خاصّة وأن المشاكل، في أغلب الأحيان، لا تكمن في الخلافات بين أصحاب المؤسسات بل في افتقاد المؤسسات للأسواق. ولقد أحدث، فعلا، انتقال روسيا إلى اقتصاد السوق في بداية السنوات 1990 جملة من المشاكل الحادّة في المدن ذات النشاط الاقتصادي الواحد.

وعلى رأس القائمة، البطالة التي تبلغ نسبتها ضعف المعدل الروسي. زيادة على ذلك، فإن تصميم هذه المدن يستجيب لصِفتها الصناعية وليس لاحتياجات السكان من حيث رفاهية العيش. وأصبحت المشاكل المتعلقة بالتلوّث، وتخلّف البنى التحتية، والتعليم، والصحة مُتكرّرة. والأسوأ هو أنها أُنشئت، في الغالب، في مناطق نائية من البلاد، ونظرا للأسعار الباهظة لتذاكر السفر جوا، أصبح السكان بمثابة الرهائن. وإن تمكّنوا من السفر بالطائرة، فذلك يعني أنه ذهاب بدون رجعة.

كيف تكونت المدن ذات النشاط الاقتصادي الواحد؟

13،2 مليون ساكنا، أي ما يُقارب روسيّا واحدا من عشرة، يعيشون ويشتغلون في واحدة من المدن-المصانع الروسية التي يبلغ عددها 319 مدينة. ومهما اختلفت تلك المدن فإن قاسمها المشترك هو أن موارد عيشها تعتمد كليّا على شركة واحدة، أو مجمّع شركات، تُشغّل على الأقل ربع سكان المدينة. وقد تشكلت جميعها حول معامل أو مراكز كبرى للصناعات الغابية ومناجم المواد الأولية (ذهب، حديد، فحم، نفط، غاز، أباتيت، الخ...). وحتى نعود إلى بيكاليوفو، فقد تم إنشاء المدينة ومصنع الإسمنت سنة 1935 في المنطقة المجاورة للمحطة الحديدية التي تحمل نفس الاسم، حيث وقع اكتشاف مناجم من الحجر الجيري وطين الاسمنت، قبلها بخمس سنوات.

ويعود ظهور أولى المدن-المصانع الروسية إلى القرن الثامن عشر، في أعقاب إصلاحات القيصر بيار الأكبر الذي شجّع آنذاك على فتح مشاغل لنسج الأغطية وسبك الحديد. أما الموجة الثانية من التطوّر السريع فجاءت خلال القرن التاسع عشر، مع ظهور معامل للنسيج وتطوير الصناعة الخفيفة.

إلا أن أغلبية هذه المدن أُنشئت في إطار مخططات هائلة للتصنيع قررها ستالين خلال السنوات 1930، وكانت تتمحور بالخصوص حول الدفاع.

في الوقت الراهن، تعدّ هذه المدن أكثر من 400 مؤسسة كبرى، منها، على سبيل المثال، شركة السيبيرية للفحم والطاقة ، وشركتي المناجم والصناعات المعدنية سيفرستال وميشال، أو الرائد العالمي في استخراج الألماس ألروزا. ومن بينها مؤسسات على ملك الدولة مثل روستاك التي تصنع وتُصدّر المواد الصناعية ذات التكنولوجيا العالية لأغراض مدنية وعسكرية، وروزاتوم، مفخرة روسيا في الصناعات النووية، وغيرهما كثير.

تتوزع المدن-المصانع على كامل تراب روسيا تقريبا، لكنها تُوجد بكثافة بالخصوص في سيبيريا وفي الأورال. ففي إقليم كيميروفو مثلا، هناك 24 مدينة من هذا الصنف، وفي إقليم سفاردلوفسك 15، وفي إقليم خانتي-مانسي المتمتّع بالاستقلال الذاتي 14. بعضها لا يفوت عدد سكانها الألف، كما هو شأن القرية المعدنية بيرينغوفسكي، الواقعة في أقصى شرق روسيا. في حين تعدّ مدن أخرى مئات الآلاف: 712.000 ساكن يعيشون في تغلياتي، عاصمة صناعة السيارات الروسية، و517.000 في نابيريجني تشالني التي تأوي معامل إنتاج الشاحنات كاماز. لكن أغلبها، أي 261 بلدة، لا يفوق عدد سكانها 50.000 نسمة.

استراتيجية جديدة

إن المشاكل التي تُواجهها المدن ذات النشاط الاقتصادي الواحد هي من أهم المخاطر التي تهدد الاستقرار الاجتماعي والسياسي في روسيا.

وبعد أزمة بيكاليوفو، أعدّت الإدارة التابعة للدولة قائمة في هذه المدن، وقام الخبراء بتصنيفها في ثلاث فئات: مدن تتّسم بوضع اجتماعي واقتصادي حرج (منطقة حمراء، 94 مدينة)، مدن مهددة بتدنّي الوضع الاقتصادي والاجتماعي (منطقة صفراء، 154 مدينة)، ومدن يتّسم الوضع فيها بالاستقرار (منطقة خضراء، 71 مدينة).

© Kirill Kukhmar / TASS / ABACA

ورشة تذويب النحاس في مصنع تابع لشركة نورنيكال (نوريلسك، روسيا).

في سنة 2014، اعتمدت الحكومة استراتيجية تنمية خاصة بالمدن ذات النشاط الواحد، ترتكز أساسا على تنويع نشاطها الاقتصادي، وعلى الاستثمار وخلق مواطن شغل جديدة. واستعانت ببنك روسيا الفدرالية للتنمية المختص في تمويل المشاريع الكبرى الرامية لتطوير البنية التحتية، والصناعة، والنشاط الاجتماعي والإمكانيات التكنولوجية للبلاد، وكلّفته بوضع الآليات المالية التي تُمكّن المدن-المصانع في المنطقة الحمراء من الخروج من الأزمة، مع إيلاءها الأولوية.

ولتحقيق تلك الغاية، أنشأ البنك صندوقا خصصه لتنمية المدن-المصانع.

وبعد الانتهاء من وضع هذه الاستراتيجية، تم تكوين فرق من مختلف المدن ذات النشاط الواحد لتحسين قدراتها في مجال الاستثمارات وبعث المؤسسات. وقد أسند هذا التكوين إلى معهد متميز يعد من بين أحسن المعاهد الخاصة في مجال التجارة، يقع في سكولكوفو، سيليكون فالي الروسية.

ويعمل صندوق تنمية المدن-المصانع اليوم مع فرق مُتألّفة من مقاولين وإداريين من المؤسسات المحلية والجهوية. وقد صاغت أغلب المدن-المصانع برامج تنموية وصادقت عليها، وهي برامج تأخذ في الاعتبار خصوصياتها المحلية، والمناخية، والاقتصادية والاجتماعية وما يُميّز انتاجها، وقد تمّ ادماج تلك الخصوصيات في المخططات الاستراتيجية لتنمية الجهات.

يدفع الصندوق للجهات الأموال اللازمة للمشاريع، ويعهد التنفيذ إلى المؤسسات المحلية والوطنية، بالتعاون مع السلطات البلدية. كما يُوفّر الصندوق الموارد والكفاءات، ويُراقب المصاريف ويسهر على تبادل أفضل الممارسات للاستفادة منها. وحتى يجلب الاستثمارات، أبرم خلال سنتي 2016 و2017 مع الجهات 29 اتفاقية للتمويل المشترك لعمليات إعادة بناء البنى التحتية بقيمة 14،3 مليار روبل (حوالي 217 مليون دولار). ومن المنتظر أن تفوق الاستثمارات في المدن-المصانع بمساعدة الصندوق المباشرة، مبلغ 106 مليار روبل (أكثر من 1،6 مليار دولار).

في سنة 2016، دخل البرنامج الأولوي للتنمية المندمجة في المدن ذات النشاط الواحد حيّز التنفيذ، على المستوى الفدرالي. ويهدف هذا البرنامج إلى خلق مؤسسات صغرى ومتوسّطة أو مؤسسات فردية، مرتبطة بأنشطة جديدة من المنتظر أن تُوفّر 230.000 موطن شغل. وفي ما يخص بيكاليوفو، مثلا، يُنتظر خلق أكثر من 1700 موطن شغل من أصناف مختلفة – إنتاج الخضر في البيوت المكيّفة، والملابس الرياضية، والأثاث، الخ. – لغاية سنة 2030. وينصّ المخطط التنموي على استثمار 20 مليار روبل (303 مليون دولار) في اقتصاد المدينة.

ومن بين الامتيازات الأخرى ذات الأهمّية: إنشاء مناطق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المتقدّمة تتمتّع فيها الشركات بامتيازات جبائية غير مسبوقة. وتتضمن الإجراءات المُطبّقة بالخصوص التخفيض من الضرائب على المرابيح، وعلى ممتلكات الشركات، وعلى العقارات وعلى الاستغلال المعدني، وكذلك التخفيض في أقساط التأمين. وفي نهاية عام 2018، بلغ عدد هذا الصنف من المناطق صلب المدن-المصانع 63 منطقة، مع أكثر من 200 شركة مسجلة.

المؤسسات الكبرى: السند الثاني

غير أن الدولة ليست قادرة بمفردها على حل كل المشاكل المتعلقة بالمدن ذات النشاط الواحد. فتولت الشركات الكبرى المشاركة في هذه الجهود. وفي 2017، وضعت شركة نورنيكل سلكا للإنترنت بالألياف البصرية بقيمة 2،5 مليار روبل (أكثر من 38 مليون دولار) في نوريلسك، الواقعة على بعد 300 كلم شمال الدائرة القطبية الشمالية. وفي سنة 2018، تولّت الشركة المعدنية كولمار تطوير السياحة الجهوية في ناريونغري، في إقليم ياقوتيا، من خلال الاستثمار في إعادة بناء المطار المحلّي.

هذا وانطلقت الشركات الكبرى في تشجيع الصناعة الخضراء. من بينها شركة تانيكو للنفط والغاز، في نيجنيكامسك بإقليم تاتارستان، التي ساهمت سنة 2008 في تمويل مشروع تحديد الكمية القصوى الوحيدة المسموح بها لانبعاث المواد المُلوّثة، وقد أصبح منذ ذلك التاريخ بمثابة المعيار في مراقبة الانبعاثات الضّارّة.

وفي سنة 2016، أغلقت شركة نورنيكل مصنع إنتاج النيكل في نوريليسك، وهو من أقدم مصانع النيكل وأشدها تلوثا. وقد أدى إغلاق المصنع إلى انخفاض الانبعاثات الضّارّة بنسبة 30%. وفي سنة 2017، جهزت شركة ميشال مصنع تخصيب الفحم الواقع في نيرنغري بآلات تسمح بتجميع 98% من الغبار والغازات المنبثقة. أما شركة كولمار فقد شيّدت مصانع للتخصيب في حلقة مُغلقة حيث يتم تصفية المياه المُستعملة لإعادة استغلالها من جديد في الإنتاج.

وإلى أن يتم الكشف عن النتائج الملموسة لكل هذه الإجراءات في أفق 2025، من المنتظر أن يعلن صندوق التنمية، خلال السداسي الأول لسنة 2019، عن قائمة المدن الثمانية عشر ذات الاقتصاد المستدام التي لم تعد مصنفة ضمن المدن ذات النشاط الواحد. والمُرشّحة الأولى للخروج من هذا الصنف هي مدينة تشيريبوفاتس التي تعد 318.000 ساكن. فبعد أن كانت سابقا مركزا لصناعة الحديد الصلب، أنشأت فيها شركة فوسآغرو سنة 2017 مركبا لإنتاج الأسمدة المعدنية. كما سجلت المدينة إنشاء عشرين ألف مؤسسة فردية تشغل ربع القوى العاملة.

إيفان نستيروف (روسيا)، صحافي وأخصّائي في حشد الاستثمارات في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الشرق الأدنى. وقد ساهم، في الفترة ما بين 2008 و2018، في التعريف بمشروع التنمية المندمجة لياقوتيا الجنوبية الذي يعد أكبر مشروع للإستثمار على المستوى الوطني في روسيا.

مناخ قطبي، تلوث، إقصاء. تحاول المصورة الفوتوغرافية الروسية إيلينا شرنيشوفا، من خلال مجموعتها «النهار ليلا - الليل نهارا» أن تتفهم قدرة سكان مدينة نوريلسك (روسيا) على التأقلم مع ظروف العيش القاسية.

© Elena Chernyshova

هافانا:

ما يقتضيه القلب، تحققه اليد

بقلم ياسمينا شوبوفا

تستعد هافانا لإقامة أروع الاحتفالات في نوفمبر 2019، بمناسبة مرور 500 سنة على تأسيسها. ويجري ترميم عدد من المباني الرمزية الواقعة في الحي التاريخي للعاصمة الكوبية التي تشهد نهضة استثنائية منذ ما يقارب الثلاثين عاماً، بفضل التزام سكان هذه المدينة، وعزيمة رجل حازم، فضلاً عن إرادة سياسية قوية.

© Sebastian Liste / NOOR

صورة للحياة اليومية في هافانا (كوبا) سنة 2015، في شارع قرب الكابيتول.

«ما يقتضيه القلب، تحققه اليد». يعبّر هذا المثَل المنقوش بالرموز الصينية على سقف إحدى بنايات هافانا الرائعة، في كوبا، بكل وضوح، عن الحب الذي يكنّه السكان لمدينتهم. *«كانت هذه المدينة أرض عبور طوال سنوات عديدة، التقى فيها أناس من جميع الأصول (أفريقيا وأوروبا والصين ويوكاتان...)، وشكّلوا مزيجا متعدد الألوان انبثقت منه هويتنا الإثنية والأخلاقية والجمالية، هوية واحدة ومتنوعة»*. هذا ما كتبه سنة 1984 المؤلف الكوبي مانويل بيريرا في مقال بعنوان *«هافانا القديمة، صَدفة سحرية»*، نشر في *رسالة اليونسكو*، يوليو 1984.

كتب ذلك إثر مرور سنتين على إدراج الحي التاريخي للعاصمة الكوبية في قائمة التراث العالمي لليونسكو. ويضم هذا الحي أكثر من ثلاثة آلاف مبنى، ويبلغ عدد سكانه اليوم نحو خمسين ألف نسمة.

وبعد حوالي عشر سنوات، أصدرت الدولة مرسوماً (1993) يجعل من مدينة هافانا القديمة منطقة حِفظ ذات أولوية. وتم على الفور إعداد خطة توجيهية لإصلاح وترميم الحي التاريخي وعهد تنفيذها إلى مكتب مؤرخ هافانا (انظر المقابلة ص. 18).

وتحت تأثير المناخ والنمو الحضري، تكبدت هافانا القديمة أضرارا بالغة منذ بداية القرن العشرين، فحشَدت كوبا جهودها لإنقاذها. وقد كتب مانويل بيريرا قبل 35 سنة: *«لا يتم بين ليلة وضحاها إنقاذ مباني قديمة بلغ عمرها 465 سنة، غير أنه سيتم إنقاذ هافانا القديمة، وسوف تسترد وجهها الجميل، لا لكي تتحول إلى متحف كئيب، بل لتكون متحفاً ينبض بالحياة ويعيش فيه الناس»*. وأثبتت الأيام أنه كان على صواب.

وقد اعتمدت الخطة الكوبية على نموذج للإدارة الذاتية، كما تبنت منهجا يوفق بين النواحي التراثية والاجتماعية والتعليمية والثقافية على السواء. مما جعل منها مثالا يحتدى به في ترميم وتعزيز المراكز التاريخية الحضرية، ولاسيما في بلدان أمريكا اللاتينية.

وحظيت هذة الخطة بتقدير الخبراء الدوليين ونالت نحو عشرين جائزة على الصعيدين الوطني والعالمي، كما أدرجت في قائمة اليونسكو لأفضل الممارسات في عمليات ترميم التراث.

ومن خصائص هذه الخطة تشريك السكان المحليين في عمليات ترميم حيهم. ومع مرور الوقت، تم خلق أكثر من 14.000 موطن شغل في مكتب مؤرخ هافانا، تستلزم خبرات على مستويات متنوعة، لصالح سكان الحي التاريخي والبلديات المجاورة. كما تم وضع نظام تعليمي خصيصا للاستجابة لاحتياجات الخطة، تساهم فيه جامعة هافانا التي أُنشئت في عام 1728، فضلاً عن ثلاث مدارس متخصصة تتولى تكوين شباب تتراوح أعمارهم بين 16 و21 سنة في اثنتي عشرة مادة تعليمية على مدى عامين. ولحد اليوم، تم تكوين حوالي 1500 شاب في اختصاصات مهن الترميم وإصلاح التراث الثقافي.

أوسيبيو ليال:

هافانا، حبيبتي

أجرت الحوار لوسيا إغليسياس كونتز (اليونسكو)

إذا وقع الكلام على هافانا، فلا مناص من ذكر أوسيبيو ليال سبينغلر... وهل توجد مدينة أخرى لها مؤرخها الخصوصي عدى هافانا؟ على مشارف الاحتفال بالمئوية الخامسة لتأسيس العاصمة الكوبية، ذهبنا رفقة مؤرخ المدينة الذي يقود منذ ثلاثين سنة أعمال ترميم مركزها التاريخي، لنتجول معا في شوارعها وبين معالمها الأثرية، ونكتشف ما تتسم به من قوة وجمال... وما تكبدته من أضرار.

تحتفل هافانا هذا العام بمرور خمسة قرون منذ نشأتها! كيف حالها؟

لو حللت محلها، لقلت إن أعراض الوهن التي أصابتها هي تلك التي يشعر بها كل إنسان حين يتقدم به العمر. إن خمسة قرون تعتبر فترة قصيرة مقارنةً مع المدن القديمة مثل أثينا في اليونان، أو إسطنبول في تركيا. غير أنه، بالنسبة لنا نحن الأمريكيين اللاتينيين، فهي تمثل فترة طويلة، إذا ما استثنينا المدن الكبرى التي تأسست قبل الحقبة الإسبانية، مثل كوزكو، المدنية الإيكية في بيرو، أو تينوختيتلان الأزتيكية في المكسيك، أو المدن التي تنتمي لحضارات المايا في أمريكا الوسطى. أما هافانا فإنها تندرج في تلك الموجة الجديدة التي بدأت مع الغزو والاستعمار الإسباني في مطلع القرن السادس عشر. وقد أنشئت المدن الكوبية مباشرة بعد مدن سانتو دومينغو، ولا فيغا، وسان بيدرو دي ماكوريس وسانتياغو دي لوس كابالليروس، في الجمهورية الدومينيكية.

وبالإضافة إلى ذلك، تشارك مدارس ابتدائية ومتاحف في مشروع «قاعة درس في المتحف» الرامي إلى تعليم الصغار تاريخ هافانا القديمة. ويعد هذا المشروع من بين الطرق العديدة التي توخاها مكتب المؤرخ لتحسيس الجمهور، من مختلف الشرائح العمرية، بالقيم التراثية. كما أتاح مكتب المؤرخ لآلاف الأُسر الاستفادة من مسارات ثقافية عبر جميع أرجاء المدينة، أو مشاهدة «النزهات الهافانية» على الشاشة التلفزيونية، أو قراءة السلسلة الشهرية (المطبوعة والرقمية) *هافانا نويسترا* (هافانا لنا).

كما تم وضع نظام تمويل ذاتي لعمليات ترميم الحي التاريخي، بعد أن كانت الدولة تتكفل بتمويلها، وذلك بفضل تطوير الاقتصاد المحلي. فأنشئت شركات ووكالات سياحية لتشكيل شبكة في منطقة الحِفظ ذات الأولوية، تشمل فنون الطهي والخدمات التجارية والفندقية، وتتماشى مع الاهتمامات الثقافية للحيّ. كما أُقيمت متاحف ومعارض ومسارح في أجمل الأبنية من شأنها أن تجلب العديد من الزوار من داخل البلاد وخارجها، إذ أن الزوار يمثلون أهم مصدر للموارد المالية لإصلاح هافانا القديمة.

ولما كانت نوعية حياة السكان تُعد من المعايير الرئيسية في خطة الإصلاح، فإن جزءاً مهماً من الموارد التي تتولد عنها يتم تسخيرها لفائدة مؤسسات اجتماعية، على غرار مستشفى التوليد دونيا ليونور بيريز كابريرا، ومركز طب الشيخوخة سانتياغو رامون إي كاخال الذي يوفر رعاية طبية متخصصة لنحو 15.000 مُسِن، أو الدير القديم بيلين الذي يأوي مكتب تنسيق الشؤون الخيرية. ويهتم هذا المكتب بالسكان ضعفاء الحال، بما فيهم ضحايا الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير المتكررة، ويوفر لهم صيدلية ومركزا للعلاج الطبيعي وعيادة لطب العيون، فضلاً عن متجر بقالة ومحل لتصفيف الشعر وآخر للحلاقة... كما ينظم لقاءات بين الأجيال وحلقات عمل حول البيئة والطب التقليدي وغيرها من الأنشطة الاجتماعية والثقافية.

أما تجهيز الساحات، والميادين، والشوارع المخصصة للمشاة، والأماكن الترفيهية فضلاً عن إضاءة الشوارع وتوزيع الغاز وجمع القمامة وتنظيف الفضاءات العامة، كل ذلك يشكل جزءاً لا يتجزأ من هذه الخطة الفرعونية، التي لم تتجاهل المسألة الأساسية، ألا وهي عدم حرمان قاطني العمارات الجاري تجديدها من البقاء في شققهم أثناء عمليات الإصلاح. وحتى الآن، استفادت أكثر من 11.000 أسرة من مساكن بأتم معنى الكلمة.

فيضانات غير مألوفة بسبب التغير المناخي، تهدد ماليكون الشارع المشهور الواقع على طول الساحل في هافانا (كوبا).

لنقل إن هذه المدن قد بلغت سن الوقار، وإنها تحمل آثار الجراح الناجمة عن الأحداث التي مرت بها. أما في ما يخصنا، فالمهم أولاً وقبل كل شيء، هو ذلك العهد الجديد الذي بدأ منذ 60 عاماً مع انتصار الثورة، أعني المقاومة التي قادها الشعب الكوبي والتي كانت هافانا رمزها وشعارها.

تم إدراج المركز التاريخي لهافانا منذ عام 1982 في قائمة التراث العالمي نظراً لما يمثله من «قيمة كونية استثنائية» واضحة للعيان. وبالنسبة لك، فيم تكمن قيمة هافانا؟

إن مقياس القيم واسع جداً. هناك القيمة الرمزية: هافانا هي العاصمة الوطنية، أي رأس البلاد. وهي تمثل في نفس الوقت جميع القيم الثقافية والفكرية والسياسية والتاريخية والاجتماعية للشعب الكوبي.

كما أنها بمثابة استعراض لأجمل وأروع الفنون المعمارية التي أنتجتها الجزيرة على الإطلاق، تلك الفنون التي يمكن معاينة البعض منها في مدن أخرى مثل كاماغوي، وسنتياغو دي كوبا فضلاً عن ترينيداد.

وأذكر منها على سبيل المثال، الفن المعماري المغاربي المتأثر بالتقاليد الإسبانية-الإسلامية المتواجد في المركز التاريخي للمدينة. وكذلك الطراز الباروكي لكاتدرائية هافانا بطابعه المتحفظ والمثير للإعجاب في آن واحد، والذي يتبلور بصفة خاصة لما يكون المشاهد في حالة مزاجية معينة، وفي نوع من الإحساس أو الأجواء التي وصفها الكاتب الكوبي أليخو كاربانتيي وصفاً رائعاً عام 1962، في روايته *قرن الأنوار*.

> *هافانا مدينة الحياة والمعرفة والذاكرة*

© Benjamin Norman

كما يوجد الطابع الكلاسيكي الجديد الذي يمثله *«إل تيمبليت»*، ذلك المبنى الأثري الذي أنشئ تزامناً مع تأسيس هافانا وهو بمثابة النموذج المصغر. وقد تم بناء أمثلة منه بصفة مبدعة في مدن كوبية أخرى، مثل ماتنزاس أو سيانفويغوس.

يُضاف إلى ذلك الطابع التوفيقي الذي تنبهر له الأنظار، في مركز هافانا الذي يعج بالميازيب المنحوتة، والتماثيل العمودية، والأشكال العجيبة، والمخلوقات الخيالية. أما الفن الجديد المتمثل في قصر كويتو دي لا بلازا فياخا، والفن الزخرفي (أرت ديكو) المتمثل في مبنى إميليو باكاردي، فقد تسللا إلى المدينة وأدخلا نوعا من الاضطراب، مما زاد من حيوية ذلك المزيج المعماري.

وأخيراً، هناك هافانا المتسمة بطابع الحداثة، وهو طابع بلغ ذروته في لا كاسا دي شولتيس، من إنجاز المهندس المعماري النمساوي ريتشارد نويترا، التي تعتبر من أجمل المنازل في أحياء ريبارتوس السكنية التي نصل إليها عبورا بكوينتا أفينيدا (الجادة الخامسة).

إن هافانا مدينة الحياة والمعرفة والذاكرة في آن واحد. تضم هذه المدينة الكبرى التي تفيض حيوية، قلعة المعرفة المتمثلة في الحرم الجامعي الرائع، وكذلك مدينة الموتى أي المقبرة الشاسعة التي لا تقل جمالا عن غيرها من المباني.

ما هو برنامج احتفالات نوفمبر 2019؟

أعدت المدينة مشروعاً واسع النطاق للاحتفال بذكرى تأسيسها، تندرج فيه الخطة التي قمنا بتصميمها في مكتب مؤرخ مدينة هافانا والتي تخص تحديدا المنطقة التاريخية. مهمتنا هي تعزيز فكرة حفظ ذاكرة المدينة، لا فقط خلال الاحتفال بمرور خمسة قرون على تأسيس هافانا، وإنما في الحياة اليومية على وجه الخصوص. ولقد كرّست أكثر من ثلاثة عقود لهذه المهمة، وأعترف بأن الأمر لم يكن هينا، وسادني الإحباط في بعض الأحيان.

نقوم حاليا بوضع اللمسات الأخيرة لبرنامج الفعاليات، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، فضلاً عن نشر مختلف المؤلفات. وبطبيعة الحال، نتابع في نفس الوقت ترميم البنايات الرمزية العظيمة للمدينة. وخير مثال على ذلك هو استكمال الأعمال الكبرى الجارية في الكابيتول وفي كاستيو أتاريس والأبنية الرمزية الأخرى الواقعة وسط هافانا. وهكذا، سنقوم بتكريم ذاكرة المدينة والاحتفال ليس فحسب بتأسيسها، بل وأيضاً بتاريخها وثقافتها.

وما أريد التأكيد عليه هو أن الثقافة هي ركيزة الخطة التوجيهية التي وضعناها لعمليات إصلاح وترميم المركز التاريخي لمدينة هافانا. إن أيّ مشروع إنمائي يطرح الثقافة جانباً لن يفضي إلّا إلى الانحطاط.

ومن جهة أخرى، يكتسي العامل البشري أهمية مماثلة. وأود أن تكون هذه الاحتفالات مثيرة لشغف الجماهير الشعبية. ولو لم تُلامس قلوب الناس، فإنها لن تتجاوز إلقاء بعض الخطابات الرسمية، ونقل بضعة أحجار وطبع بعض المقالات..

هل هذا يعني أن قيمة الممتلكات التراثية مسألة متعلقة بالحياة اليومية أكثر منها بالمتاحف؟

بطبيعة الحال، أعتبر أن للمتاحف دور أساسي في ما يتعلق بالتاريخ والذاكرة والثقافة. في رأيي، يكتسي موسيو دي لا سيوداد (متحف المدينة) أهمية قصوى في نظر الأمة بأسرها، وليس حصرا على سكان هافانا. ولكن، في نفس الوقت، لم أكن أبدا من أنصار تحويل المدن إلى متاحف، ودافعت دوما عن فكرة المدينة النابضة بالحياة.

من التحديات التي تواجهها مدن التراث العالمي، صعوبة التوفيق بين السياحة ـ المكثفة أحيانا ـ وحفظ قيمة الممتلكات التراثية. هل تواجه هافانا مثل هذا التناقض؟

لا بد من الحرص على ألا تُغمر هافانا تحت الأعداد الغفيرة من السياح، هذا من المتفق عليه. غير أني أعتقد، في الوقت عينه، أنه لا يجب شيطنة السياحة. إن السياحة نشاط ضروري وعامل اقتصادي مهم، وفي ما يتعلق بكوبا ـ نظرا لعُزلتها ـ فإن السياحة تتيح إمكانية الحوار المباشر مع أناس من كافة مناطق العالم، وأرى في ذلك أمرا رائعا.

خلال أشغال الترميم، بقي السكان في منازلهم في أغلب البنايات الواقعة في هافانا القديمة.

جل البنايات المخربة التي تم ترميمها كانت تأوي عائلات فقيرة. وتلك هي الحال بالنسبة للعديد من البنايات الأخرى. من أهدافنا توفير السكن اللائق لآلاف العائلات، والتعليم للشباب وفرص الشغل للكهول. هذا ما دفعنا إلى تحقيق ذلك المشروع الذي وصفته اليونسكو بـ*«المشروع الفريد»*. هو فريد من نوعه بمعنى الإختلاف وليس التفوق. لا أدعي بتاتا أن ما أنجزناه أحسن مما أنجزه غيرنا. لقد بحثنا عن طريقنا الخاص، ورغم التعثرات والأخطاء، اهتدينا إلى نموذج صيانة ناجح (انظر ص. 17).

بذلتم جهودا جبارة لترميم شارع ماليكون الذي يحاذي الضفة الشمالية. وأنت تسميه «ابتسامة هافانا».

علي أن أعترف بأني خسرت المعركة ضد البحر. الإله نبتون، برمحه الثلاثي، هو الوحيد القادر على الفوز ضد البحر. احتفظت في ذهني بصورة تراودني تكرارا، وهي صورة الأمواج الهدامة وهي تتلاطم على منارة كاستيو ديل مورو المنتصبة بافتخار تجاه البحر، منذ قرنين. يعوم البحر المدينة وينفذ إلى قلبها، فيغطي الملح حدائق البرادو، ينخر أسس القصور العتيقة والبنايات الحديثة... صورة مرعبة تتكرر كلما حل إعصار.

الإعصار الذي أصابنا في الليلة ما بين 27 و28 يناير الماضي والذي أدّى بحياة العديد من الضحايا وخلف مئتي جريح، من شأنه أن يذكرنا بأن ساعة الوعي قد حانت، وأن التغير المناخي يهدد قوس ماليكون الأنيق الذي سوف يبقى دائما ابتسامة هافانا الجميلة الموجهة للبحر، والذي يستوجب منا حمايته.

لقد خسرنا المعركة ضد البحر، ولكن لا بد لنا أن نفوز في الحرب ضد التغير المناخي. لا زالت تنتظرنا صعوبات عديدة ومغامرات جديدة.

يبدو أنك لم تملّ أبداً من العمل لصالح هافانا...

هذا صحيح. كل شيء في حياتي كان يدفعني دائما إلى هافانا. لقد كرست لها سنوات عديدة من العمل والجهد. ولست نادما على أي شيء! ولو كانت هناك حياة غير تلك التي نعيشها في هذا العالم، لبقيت روحي تتجول إلى الأبد في أرجاء هافانا. فهي بالنسبة لي أعظم حب في وجودي، وأعظم عشق، وأعظم تحدٍ واجهته. في الحقيقة، لا أدري سر عودتي إليها باستمرار، في النور كما في الصمت، في الحياة كما في الحلم.

اوسيبيو ليال سبينغلر مؤرخ وكاتب وباحث كوبي، يقود الخطة التوجيهية لإصلاح وترميم المركز التاريخي لمدينة هافانا، ويشغل منصب مؤرخ المدينة. من مؤلفاته *باتريا أمادا* (وطني الحبيب)، *ريغريسار إن إل تييمبو* (عودة في الزمان)، *لا لوز سوبري إل إسبيرو* (أضواء على المرآة)، *فوندادا إسبيرانزا* (أمل مبرّر)، *بويسيا بالابرا* (شعر وكلمات).

الفن يقتحم الشارع

© Inkman & Nilko / Galerie Itinerrance / photo : Chrixcel

عمل فني تشاركي للفنانين إينكمان (تونس) ونيلكو (فرنسا).

مهدي بن الشيخ
يجيب على أسئلة أنيسة البراق

طالما اعتُبر فن الشوارع (ستريت آرت) فنّا هامشيا. وها أنه أصبح اليوم تيّارا رائدا يفتح للجميع إمكانية التمتع بالفن ويبعث في المساحات الحضرية حيوية اجتماعية واقتصادية جديدة. في قلب جزيرة جربة، بتونس، أنجز حوالي مائة فنان ما لا يقل عن 250 لوحة حائطية لزخرفة مدينة الرياض الصغيرة، التي أصبحت تُعرف باسم جربة هود. هذا المشروع الواعد، الذي يتوسّع باستمرار، بعثه صاحب الأروقة الفنية، الفرنسي-التونسي مهدي بن الشيخ.

كيف تجسّم مشروع جربة هود ولماذا وقع اختيار الرياض لتنفيذه؟

أنجزت، سنة 2013، مشروع برج باريس 13 الذي حظي بتغطية إعلامية استثنائية. كان من المقرر هدم هذا البرج الكائن بالدائرة 13 للعاصمة الفرنسية، وهو ما حصل فعلا سنة 2014. ولكن، في الأثناء، أقبل حوالي مائة فنان من ثمانية عشر جنسية ليُحوّلوا البرج، بصفة تطوّعية، إلى عمل فنّي جماعي. واكتسح الفنانون وهم من أبرز المبدعين في فن ستريت آرت الواجهات والفضاءات المشتركة وحوالي 36 شقّة. ورغم أن أعمالهم كانت آيلة إلى الزوال، إلا أنها ستبقى خالدة على الواب في متناول جمهور عريض عبر العالم.

هذا النجاح شجّعني على التخطيط لمشروع آخر كنت أفكّر فيه منذ مدّة: تنظيم تظاهرة ستريت آرت في تونس، تساهم في التعريف بالبلاد بشكل إيجابي. وقد بدت لي الرياض، في جزيرة جربة، المكان الأفضل، لما تتمتع به من نور طبيعي، وطابع معماري تقليدي جميل، وتخطيط حضري مهيكل حول ساحة مركزية، وتاريخ، فضلا عن ما يُعرف عن سكانها من حسن الضيافة الأسطوري... ولا ننسى أن جربة، إذا كانت كما يعتقد البعض جزيرة آكلي السدرة في ملحمة هوميروس، لكان أوليسيس أشهر زائريها.

تقع الرياض التي كانت تُسمّى سابقا الحارة الصغيرة، على مقربة من معبد الغريبة الشهير، أحد أقدم المعابد اليهودية في العالم، والذي لا يزال يقصده إلى يومنا هذا اليهود لأداء مناسك الحجّ. وقد بناه المُهجّرون الذين فرّوا من القدس بعد تدمير معبد سليمان من طرف نبوخذ نصر الثاني، سنة 586 قبل المسيح. كان سُكّان الرياض يتألّفون بالأساس من يهود ومسلمين تعايشوا معا، كما تشهد على ذلك المعابد اليهودية الخمسة (اثنان منها ما زالا مفتوحان للممارسة الدينية) ومسجدان اثنان. لكن هذه المدينة الصغيرة غرقت في السّبات، إثر هجرة اليهود المُكثّفة خلال السنوات 1960، فبقيت على هامش النشاط الاقتصادي الأساسي للجزيرة، السياحة، رغم أنها لا تبعد عن مطار دولي إلا بستّ دقائق!

> *لم يتولد الستريت آرت عن نية متعمدة لإيصال الفن إلى الناس، ولكنه في الواقع يقوم بذلك فعلا*

© Wissem el Abed / Galerie itinerrance / photo : Aline Dechamps

عمل للفنان التونسي وسام العابد.

هل اعترضتك صعوبات في الإقناع بقبول المشروع محليًا؟

تحصّلت بسرعة على ترخيص من السلطات الوطنية للتدخّل في الفضاء العمومي. كانت البلاد آنذاك في فترة انتقال بعد الثورة، وقد تمّ حلّ الهيئات البلدية في كامل البلاد وتمّ تعويضها بلجان مُؤقّتة. أما الرياض، فلم تكن لها لجنة مُؤقّتة. لذلك، انطلق المشروع بفضل تبرعات خاصّة. وبدعم من بعض أصحاب الفنادق في جربة، تمكّنت من الحصول على مساهمة مالية من وزارة السياحة.

أما السكّان، فكان عليّ في البداية أن أتفاوض معهم... لم يكونوا يتصورون ما كنا بصدد فعله بالمساحات التي يملكونها. فسّرنا لهم الفكرة، وطريقة العمل. فكانت النساء بالخصوص هنّ اللاتي أقنعن الرجال بأن يتركونا نشتغل. وما أن أنجزت الأعمال الأولى حتى أصبح السكان هم الذين يطلبون منا زخرفة منازلهم.

وفجأة، استفاقت الرياض. لقد أصبحت وجهة مقصودة ومكانا للعبور لآلاف السيّاح (فابتهج أصحاب سيّارات الأجرة!)، وفُتح العديد من المطاعم والأروقة، وارتفع سعر المتر المُربّع بشكل ملحوظ... فتغيّرت حياة السكان تماما. وهذا ما يهمّني بالأساس.

جلبت حوالي مائة فنان من ذوي الشهرة. كيف أقنعتهم بقبول المشاركة في المشروع؟

هو مشروع ذو مغزى. ما يهمّ الفنانين هو الابداع والتقاسم مع أكبر عدد من الناس. وبما أن هدفنا هو استمرارية سمعة الفنانين وليس ربح المال مباشرة من التظاهرة، لا تتضمّن العقود الممضاة معهم سوى حقوق الصورة. وفي ذلك نفع للجميع: الفنانين، والمدن، والجمهور...

هؤلاء الفنانون يحملون 34 جنسيّة مختلفة، وأنجزوا 250 لوحة حائطية! تداولوا في مجموعات كل أسبوع طيلة ثلاثة أشهر، وكانوا أحرارا في مناهجهم الابتكارية. بطبيعة الحال، كنّا جميعا على وعي بأنه لا مجال لإزعاج السكان، بصور لأجساد عارية مثلا. كان علينا احترام السكان وتقاليدهم، وليس أكثر. وتفاعل كل فنان مع المكان حسب إلهامه الشخصي.

بعد هذه التجربة، ارتفعت مكانة الفنان في جربة، ذلك أنه، علاوة على المردود الاقتصادي لهذا الفن، أدرك السكان جوهر المنهج الفني. لقد التقوا بالفنانين ونسَجوا علاقات وطيدة معهم. لم يعد الفنان في نظرهم مجنون القرية أو الشخص المُهمّش، بل إنسانا موهوبا قادرا على خلق عالم خيالي مُهيكل، وفي نفس الوقت على المساهمة الفعلية في تحسين الحياة اليومية.

يظن البعض أن فن الستريت آرت لا يُمكن أن ينجح إلا في الدول التي يوجد فيها حراك ثقافي وفنّي، أي في الغرب. لكن مشروع جربة هود أكّد العكس، وبرهن على أن الابداع ليس دائما في الأماكن الأخرى، وأن أي جهة من العالم يُمكن أن تُصبح، في وقت ما، عاصمة الستريت آرت، حتى إن كانت تقع في أقاصي جزيرة.

كيف حال الأعمال الفنية في جربة هود منذ 2014؟

لم يبق منها إلا القليل... لقد عانت اللوحات الحائطية من الفارق الكبير في درجات الحرارة بين الشتاء والصيف، ومن الرطوبة، بالإضافة إلى الجير الذي تطلى به الجدران. لقد أضرّت كل هذه العوامل بالمحافظة على تلك الأعمال الفنية.

في المشروع الجديد الذي ينطلق في باريس في أبريل 2019، سوف نستعمل موادّ قادرة على الصمود أمام العوامل المناخية (الطلي البحري)، كما أن كراس شروط المدينة ينص على الترميم. ذلك هو المنهج الذي أريد سلوكه لتخليد جربة هود. سوف يقتحم المشروع هذه السنة مرحلته الثانية. غايتي هي تحويل جزيرة جربة إلى مخبر ضخم للستريت آرت، على غرار ما تمثله جزيرة إبيزا، بإسبانيا، في مجال الإبداع الموسيقي الإلكتروني.

ما هو مفهوم الستريت آرت بالتحديد؟

الستريت آرت، أو الفن في الشارع، هو استيلاء على الفضاء الحضري بمنهج فنّي، مهما كان نوعه. يتضمّن هذا المنهج عددا من الأساليب والأجواء الإبداعية بقدر عدد الفنّانين... ويذهب من الكتابة على الجدران إلى التصوير الإيمائي أو المُلوّن، ومن النصب السمعي-الضوئي إلى الأداء البدني المتألق... يستند الفنانون في إبداعهم إلى البنية التحتية الحضرية، والهندسة المعمارية، والأضواء والظلال. وقد يبلغ حجم الكتابة الحائطية سبعين سنتيمترا كما سبعين مترا. ومهما كانت وسيلة التواصل، فالمهمّ هو اقتحام الشارع.

هذا الصنف من التعبير الفنّي وُجد منذ زمن بعيد، بل ربّما منذ كهف لاسكو الذي يعود إلى العصر الحجري القديم. وها أنه يزدهر اليوم، خاصّة في أمريكا اللاتينية، والولايات المتحدة، وأوروبا، والعالم العربي. ولنذكر، لو اقتصرنا على الفنانين من ذوي الأصل التونسي، الصيد، وشوف، وكوم الذين أصبحوا يتمتعون بشهرة عالمية، ويشهدون على الديناميكية الاستثنائية لهذا الشكل الفني الذي يسعى إلى بناء جسور بين الشعوب.

أذكر على سبيل المثال الفنان الصيد الذي أدخل الستريت آرت إلى مدينة القيروان، موقع تونسي من التراث العالمي. يرسم الصيد خطوطه الحائطيّة في مختلف أنحاء العالم: افريقيا الجنوبية، كندا، كوريا الجنوبية، دبي، مصر، الولايات المتحدة، فرنسا... وأعاد حسني هرتلي المعروف باسم «شوف» إحياء الخط التقليدي العربي على طريقته الخاصة، ليرسم على واجهات البنايات التونسية القديمة، مع إدراج الموسيقى والأضواء. وقد نال عرضه *وايت سبيريت* إعجاب آلاف المشاهدين في أستراليا وفرنسا. أما الموسيقار والخطّاط محمد كومانجي (كوم)، فهو يمزج بين هذين الفنّين في أعماله التشكيلية والضوئية باستعمال التقنيات الحديثة، مستلهما من التقاليد الصوفيّة. وقد ظهرت قدرات هذا الفنان الموهوب بالخصوص في عمله الإبداعي *أون نو رودس أوف أرابيا* الذي انتظم في نوفمبر 2018 في متحف اللوفر أبو ظبي، بالاشتراك مع رواق إيتينيرانس.

إيصال الفن إلى الناس عوض حصره في الأماكن المُخصّصة له: أتلك هي الفائدة من الستريت آرت؟

لم يتولد الستريت آرت عن نية متعمدة لإيصال الفن إلى الناس، ولكنه في الواقع يقوم بذلك فعلا. بما أنه يُمارس في الفضاء العمومي، فهو يُعرض مجانا ويتمتع به الناس، فجأة، عند اللف في الشارع... الستريت آرت هو أكثر الحركات الفنّية ديمقراطية، وهو أيضا الأكثر ملاءمة مع العصر: بما أنه ينشر على الواب بواسطة الصور والفيديوهات التي يقوم الفنانون أنفسهم بإنجازها، فإن سمعة الفنان تتكون على أساس أهمية عدد الجمهور الذي يتابعه عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومدى الاهتمام الذي يحرزه.

وحين يُصبح الفنان مشهورا، قد يختار عرض فنه في الأروقة التي تقوم بالربط بين أعماله في الشارع وبين تلك التي تُعرض في الأماكن المُخصّصة للفن.

نشهد إذا بروز نظام كامل موازٍ للفن المعاصر. سبق أن حدّثتكم عن المشروع الذي أطلق في باريس في أبريل 2019 بشارع فانسون أوريول، والمتمثل في إنشاء متحف بالمعنى الكامل لكن من نوع جديد. كل شيء فيه مدروس: الإنارة بواسطة كشّافات ضوئية تشتغل بالطاقة الشمسية، والصوت، والتدابير الكفيلة بتخليد الأعمال... إن الستريت آرت لا يلهث وراء المتاحف حتى يعرض، بل هو يتسلّى في المدينة، وينشأ تحت أنظار الجمهور، ويخلق علاقة تبادل مع السكان، ويعطى مجانا للجميع...

لكل فرد إذا إمكانية التحول إلى فنان ستريت آرت! لكن، وفي غياب رواقيّين أو أمناء متاحف، ألا تهدد ممارسة هذا الفن بتشويه المواقع التي تنتمي إلى التراث الثقافي؟ لقد تمّت مُؤخّرا زخرفة قبّة في القيروان.

لنا فعلا أن نتساءل عن القيمة الجمالية لبعض الأعمال التي تظهر في الفضاء العمومي. في المقابل، يحقّ لنا أيضا أن نقول بأن القبة البيضاء لبعض الأضرحة أصبحت اليوم ذات ألوان بهيجة! حتى وإن كان بعضها ليس على غاية من الاتقان، أعتقد أننا سنحصل، بعد بضع سنوات، على نتائج جديرة بالاهتمام: الستريت آرت فنّ يتجدّد باستمرار.

لا خوف على الفنّ. قد تُقدّم بعض الابتكارات على أنها أعمال فنية، في حين أنها لا تستحق هذه الصفة لأنها موظّفة لفائدة إيديولوجيات مقيتة. لكن مثل هذه الحالة تبقى استثناء نادرا. لم يكن الفن أبدا خطرا على أي أحد. بل بالعكس، هو أفضل سلاح ضد الظلامية، وأنا مُتيقن من ذلك.

الفرنسي-التونسي **مهدي بن الشيخ** أستاذ في الفنون التشكيلية، أسّس رواق إيتينيرانس (http://itinerrance.fr/) بباريس منذ حوالي خمس عشرة سنة. يقوم ببعث مشاريع في الستريت آرت يشارك فيها فنانون من العالم أجمع. نُشر له كتابان حول مشروعي ستريت آرت أنجزهما في كل من باريس والرياض بجزيرة جربة: تظاهرة *ستريت آرت برج باريس 13* (2013) و*جربة هود*، متحف في *الهواء الطلق* (2014).

المدينة،

خيمة سيرك مُرصّعة بالنجوم

بقلم توما ب. ريفردي

غالبا ما يختار الكاتب توما ب. ريفردي الفضاء الحضري إطارا لرواياته. وبما أنه منشغل لحد الهوس بـ«*تواجد الغياب بصفة لم تعد تطاق*» في مدننا التي فقدت إنسانيتها، فقد ذهب به الخيال إلى تصور انبثاق أشكال أخرى للمقاومة، وإن كانت محدودة.

«*هذه مدن!*» العبارة المشهورة تعود إلى رامبو. وهي جملة يستهل بها إحدى *الأفكار العبقرية*. ولم يكن يصف فيها الشاعر مدينة، وإنما خيمة سيرك، وآلاتها وسكانها-البهلوانيين، والفضاءات، والاستعراضات، والمسارات والأصوات المتعددة التي تُؤثّثها، فوضويّة، عمياء بعضها إزاء البعض، لكنها مضبوطة مثل نوتة موسيقية. خلال سنة 1872 تقريبا، أي ثلاث سنوات بعد صدور *سيلين دو باري* لبودلير، أصبحت المدينة مجرد صورة، وأصبح من الممكن وصفها بتعبير مجازي من خلال ما تُوحي به، دون منحها دلالة محددة. ليس على أساس الانتاج أو التجارة، وإنما على أساس الحركة، والحشود مجهولة الهويّة، والحِرف المندثرة والفقر الذي يتضح، فجأة، في شقوق الثراء الظاهر. منذ جزيرة توماس مور، تدور وقائع الخَيال الوهمي في الفضاء الحضري، في أغلب الأحيان. أما المجتمعات الخيالية المستبدة، فهي لا تخرج أبدا عن الإطار الحضري. المدينة خيال. استعراض. سيرك.

فضاءات للتنقل

في كل رواياتي تقريبا، وضعت إطار تسلسل الأحداث في المدينة. بل عليّ أن أقول بأنني نقلته إلى المدينة. تسمح المدن بالتواجد في كل مكان، والشعور بأنك في بيتك أو أنك في الغربة، وهذا التنقّل أساسي. فهو الخطوة الجانبية، النظرة المنحرفة، الفتحة في الواقع الفعلي، الإزاحة التي تخلق فجأة فضاء لبسط القصة الخيالية.

عندما نقلت إذن، منذ روايتي الثانية، جزءا من الأحداث إلى بركلين، قبالة منهاتن، كنت أخضع إلى تلك الضرورة التي تُحتّم عليّ إبعاد موضوع الرواية. أبعدته بشكل مُضاعف: إلى نيويورك أولا، وهي مدينة أعرفها جيّدا بحكم زياراتي المتكررة لها، ولو أنني لا أقطن فيها؛ ثمّ إلى بركلين التي تختلف عن نيويورك كما نتخيّلها، عندما نكون في فرنسا. هذه النقلة كانت أساسيّة بالنسبة لي، إذ دفعتني تدريجيا في اتجاه الرواية – قبل ذلك، كانت قصّتي الأولى أقرب ما يكون من سيرتي الذاتية.

لكن هذه النقلة كان لها مفعول غير منتظر: لقد فرضت عليّ فضاء. وبينما كنت أبتعد عمدا من مناطق مألوفة أكثر، أصبحت فجأة مُجبرا على مضاعفة العمل التوثيقي، والتثبّت في التفاصيل، والإيحاءات بالواقع، والصور. اكتشفت في قلب القصة الخيالية، في قلب عملية الصياغة، تشابكا مُعقّدا بين الواقع والكلمات: كنت في حاجة إلى تنقّل تمنحه لي المدينة الأجنبية، لكن حالما تمّ تحديد موقع القصّة، أصبحت في حاجة إلى الواقع كي أغذيها. ليس لواقع خام، إذ في تلك الحالة كان يُمكن لي أن أبقى في باريس، في بيتي، وإنما لواقع مروّج، لصور، لرموز، لمقاطع، لكلِمات. انطلاقا من ذكريات، ولكن أيضا من شهادات، من صور فوتوغرافية، من قصص، من روايات وأفلام، من خرائط، كان عليّ إعادة تكوين فضاء وإضفاء طابع «*واقعي*» عليه، وإعادة حياة السيرك لهذه المدينة.

عميان بعضنا إزاء البعض

إعجابي كبير بالكتّاب الذين تنتشر مُخيّلتهم في الفضاءات الطبيعية الكبرى، مثل كورمك ماك كارتي، أما أنا، فلديّ أسباب أخرى تجعلني أفضّل فضاء المدينة لأنقل فيه رواياتي. ذلك أن الخيال الحديث يجب، حسب رأيي، أن يعرض مساراتنا العمياء ووضعنا المجهول. اليوم، أقطن في عمارة بباريس حيث يُحيّي الناس بعضهم البعض بانحناء الرأس عندما يلتقون في المصعد. وفي المترو، في غالب الأحيان، لا يجرؤون على النظر مباشرة إلى بعضهم البعض.

الحفلات الاستعراضية، عالم مآله الزّوال، حسب تصور للفنان الفرنسي سيريل وينر. عمل بدون عنوان عدد 9 من مجموعة «يوم احتفال»، 2016.

نادرا ما تسير طيلة مسافة كاملة في المدينة دون أن يعترضك على الأقل شخص واحد وهو يتكلّم مع نفسه بشكل مُحيّر، ومُتسوّل أو أكثر، وشخص تبدو عليه ملامح اضطراب اجتماعي وربما ذهني، وفي بعض المحطات شخص مُدمن على المخدرات، يقف في آخر الرصيف وهو يدخّن الكراك. وتعثر أحيانا على شخص كنت قد شاهدته من قبل. شخص قد اعترضته سابقا في الحي أو في المترو في نفس التوقيت. ورغم ذلك، لن تتعرّف أبدا على اسمه، ولا على مهنته، ولا على سبب سعادته في ذلك اليوم. ذلك المتسوّل الذي يتكلّم بصوت عالٍ وهو يختار عباراته، بلهجته الأجنبية الخفيفة، من أين أتى وكيف وجد نفسه هنا؟ هؤلاء الشبان الذين يبدون وكأنهم مُتنكّرين، هل هم ذاهبون إلى احتفال؟ أو إلى حفلة موسيقية؟ ماذا يدرسون؟ بأي مستقبل يحلمون وهل سيُحقّقون حلمهم؟ تلك هي الخيالات الحديثة.

نحن شعب مُتكوّن من أناس مجهولي الهوية، نتقدّم في حياتنا الصغيرة كالعميان الذين لا يرون بعضهم البعض. وجودنا المضبوط حسب توقيت مرور قطارات ضواحي المدينة ما زال صامدا شيئا ما، في أعماق قلوبنا، ضد المدينة-الآلة، لكن علينا أن نعترف بأن مقابلة بسيطة أصبحت معجزة. ولم يعد بإمكاننا اليوم أن نكتب قِصص حياة جوليان سورال، أو فريديريك مورو، أو بيل آمي[1].

تسمح المدن بالتواجد في كل مكان، والشعور بأنك في بيتك أو أنك في الغربة

1 - أسماء أبطال روايات فرنسية: جوليان سورال، *الأحمر والأسود* (1830) لستاندال؛ فريديريك مورو، *التربية العاطفية* (1869) لغوستاف فلوبير؛ *بيل آمي* هو كنية الشخصية الأساسية في الرواية التي تحمل نفس الاسم (1885) لغي دو موباسان.

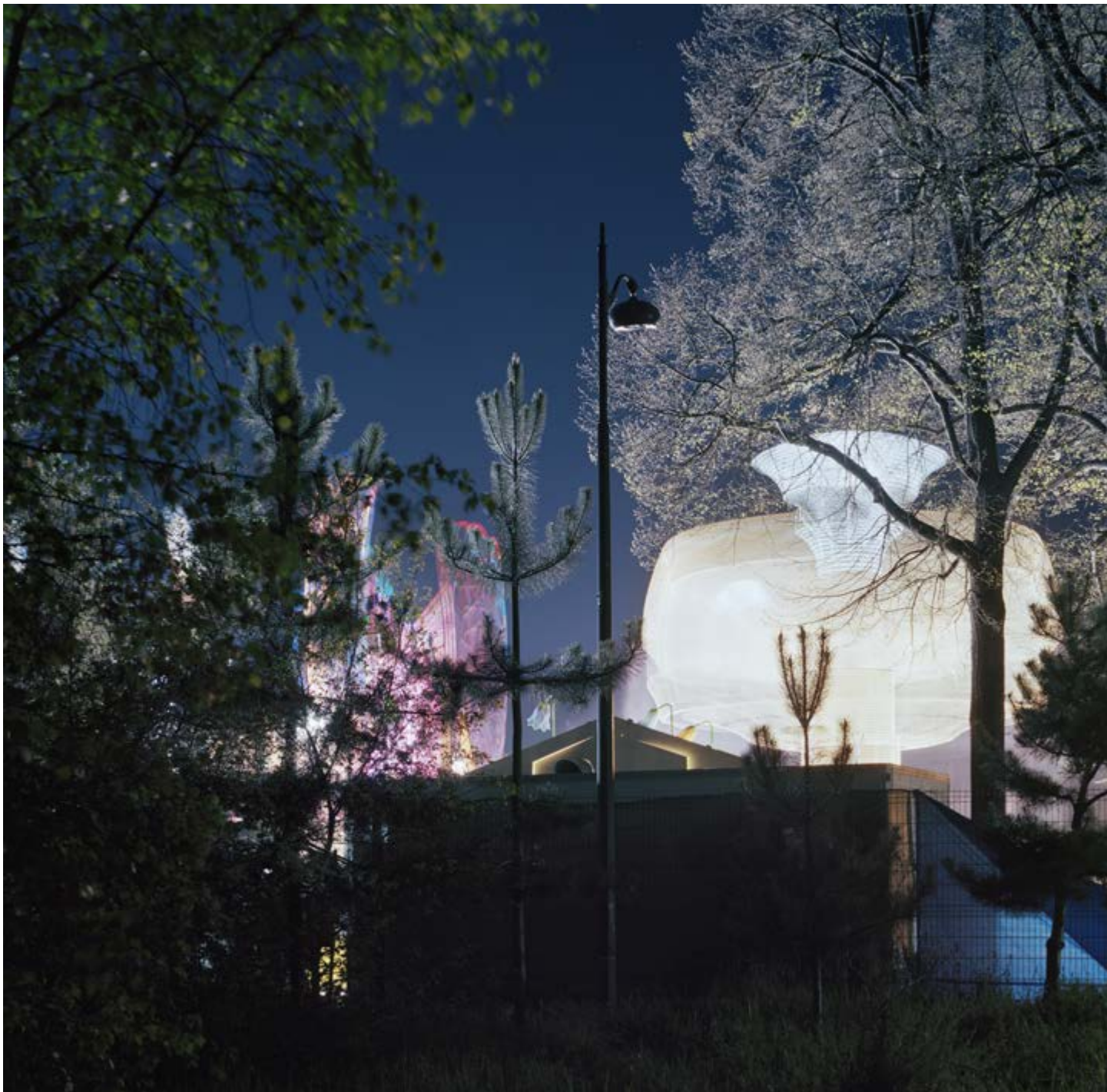

© Cyrille Weiner

هناك أيضا الاعتداءات. وربما هي السبب في هذا الوضع. في 11 سبتمبر[2]. منذ ذلك الحين، كل الأسماء منقوشة على حجر أسود، لإعطاء اسم لمن هم مجهولي الهوية. أبطال اليوم مجهولو الهوية.

هشّة مثل الذاكرة الإنسانية

عدت إلى نيويورك سنة 2008، لأكتب *«الوجه الآخر للعالم»*. تدور أحداث الرواية سنة 2003، في فوهة *غراوند زيرو*. يقع اقتراف جريمة قتل عنصرية، أو لنقل إنها اعتُبرت عنصرية. تتمّ ملاحقة الأشخاص الذين يحومون حول هذه القصّة كما لو كانوا حول مركز مفرغ، أمام خلاء غير مفهوم، وكانت طبعا ظلال البرجين التوأمين تخيّم على الموقع. وتبرز المدينة هنا إحدى خصائصها التي يمكن أن نُسمّيها بطابعها الجيولوجي: المدينة مُتكوّنة من طبقات. ولما تكون مشتغلة، تنسى تلك الطبقات لكن الأماكن تحمل آثارها. تُسجّل المدينة التاريخ في حياتنا اليومية. كانت سنة 2003 لحظة انتقال الولايات المتحدة من الحرب العقابية في أفغانستان إلى الحرب الوقائية في العراق. وكانت أيضا السنة التي تمّت خلالها المصادقة على مشروع دانيال ليبسكند الرائع. في موقع فوهة *غراوند زيرو*، التاريخية والرمزية، انقلب برجا *وورلد ترايد سنتر* لينغمسا في الأرض، وأصبح هذا المكان المشحون بالمعاني مكانا غريبا وانتِقاليا:

فهو لم يعد ساحة *توين تاورز* ولم يُصبح بعدُ ساحة *فريدوم تاور*. كان مكانا يحمل ذاكرة هشّة مثل هشاشة ذاكرة بشرية.كان يبدو لي أنه يعود للفن اليوم، تثبيت هذا الصنف من الأمكنة التي تمثل أيضا حيّزا من الزمن. ويعبر عمل ليبسكند، بذكاء مبهر، عن ذلك بأسلوبه الخاص، من خلال حفر تلك الآبار المظلمة اللامتناهية في مكان البرجين المضمحلين. ويبقى غيابهما مطبوعا في الفضاء.

ذلك هو معنى الحداد، كما الذكرى، كما الأنقاض، ومادّة الكاتب الملعونة، أو مادّة أي فنان كان، ذلك ما يعني بالتحديد: تجسيم الفراغ بصفة لا تطاق.

أخذت في مطاردته. في اليابان، وفي فترة ما بعد فوكوشيما[3]، حيث أقمت لكتابة *«لي إيفابوري»* (المتبخّرون)، الذي يروي قصّة مفقود غاب بمحض إرادته يعترض طريق التعساء الذين فقدوا جذورهم جرّاء الكارثة. طاردته في ديترويت بميشيغان، حيث كانت المدينة الكبيرة بصدد الوقوع بالكامل في الإفلاس، وقد اختفى ثلثا سُكّانها، جرفتهم الأزمات الاقتصادية والأزمة المالية لسنة 2008. ديترويت المدينة-الآلة، مدينة فورد وجنرال موتورز، *متروبوليس*[4] الحلم الأمريكي الذي يلتهم أبناءه.

ديترويت التي تختنق دون سكان، أول مدينة من هذا الحجم تعيش مثل هذا الوضع، *«مثل الكناري في منجم الفحم»* كما حذّر أولئك الذين اتّهموا البنوك وأوساط الأعمال بعدم المسؤولية. ديترويت، التي أضحت أنقاضها، مثلما لو كانت لحضارة بعيدة، مصانع، فضاءات تجارية كبرى، مدارس أو مسارح، مغمورة بالنباتات، شبيهة بنوع مأساوي من كوكب *القردة*[5]. الحلم المُزعج والتنبّؤي لكوكب تخلّص منّا.

لم أذهب إلى ديترويت خلال فترة كتابة الرواية. كان هناك عدد لا يحصى من الصور، ومَقالات لصحفيين من *ديترويت فري براس* مثل شارلي لودوف، وغيره. المشكلة لا تكمن في الاسترشاد، والتعرف على ما يحدث، أو تحديد موقع الأشياء. بالعكس، كانت أحداث ديترويت مُوثّقة حتى التخمة. كانت المشكلة تكمن في الخروج منها.

الصمود أمام سحر عازف الناي

من بين الأفكار التي راودتني، التماثل بين أزمة السيارة تلك، وقصة عازف الناي، للمؤلف الألماني هاملين التي تعود للقرون الوسطى: قرية اجتاحها الطاعون تستنجد بعازف ناي سحري، فيدفع بالفئران بعيدا عن القرية ويُغرقها في النهر. لكنه، عندما يعود، لم يتم دفع مستحقاته: فالمال مفقود.

2 - إحالة إلى هجمات 11 سبتمبر 2011 التي استهدفت بنايات رمز للولايات المتحدة.

3 - إحالة إلى الحادث النووي الكارثي في فوكوشيما (اليابان)، في مارس 2011.

4 - متروبوليس فيلم من الخيال العلمي للمخرج النمساوي فريتز لانغ، أُنجز في 1927، مُسجّل في ذاكرة العالم لليونسكو. تدور أحداثه في مدينة خيالية استبدادية في القرن الواحد والعشرين.

5 - كوكب *القردة* رواية من الخيال العلمي (1963) للكاتب الفرنسي بيار بول، استوحى منها المخرج الأمريكي تيم بورتن، سنة 2001، فيلما يحمل نفس العنوان، وأوحت كذلك سلسلة من الأفلام أنتجتها الشركة الأمريكية توانتيث سانتشوري فوكس.

© Silvana Reggiardo

تركيبة صور أفقية من مجموعة «حضور متفكك»، باريس 1998–2000، للفنانة الإيطالية سيلفانا ريجياردو.

ودون شفقة، يستميل عازف الناي السحري أطفال القرية ويأخذهم معه. ثم يُغرقهم في النهر. في بداية القرن، كان عازف الناي المنتمي للرأسمالية الصناعية يستهوي في ديترويت كافة العمال الفقراء في الجنوب الريفي للولايات المتحدة، وخاصة منهم السود، ويعدهم بمستقبل مُشرق. في ذلك العهد، كان عازف الناي يبيع منازل وسيارات مع الدفع المُؤجّل.

وعندما امتنع الناس عن تسديد الدين، حين تمرّدوا خلال أحداث سنة 1967، اغتاظ عازف الناي. وغادر مع الشغل إلى الصين، وفي ديترويت وقع الناس من جديد، شيئا فشيئا، في البؤس. رغم قساوتها، توحي هذه القصة بمخيال صبياني. لذا، من بين القصص المذكورة في روايتي، قصّة فرار مجموعة من الأطفال ينتهزون فرصة الفوضى التي عمت في وسائل النقل والمدارس، في المدينة، ليقوموا بنوع من المغامرة، في أرض بور، بمدرسة مهجورة. وضعية قريبة نوعا ما من جزيرة *الكنز*[7].

إلا أنه بقي لديّ مشكل مع الواقع. فقصّتي تندرج في الفترة ما بين إفلاس مؤسستين:

6 – جزيرة *الكنز* (1883) رواية للكاتب الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسون.

> *في بداية القرن، كان عازف الناي المنتمي للرأسمالية الصناعية يستهوي في ديترويت كافة العمال الفقراء في الجنوب الريفي للولايات المتحدة، وخاصة منهم السود، ويعدهم بمستقبل مُشرق*

إفلاس ليهمانس براذرز، في 15 سبتمبر 2008، وإفلاس جنيرال موتور[7]، في غرة جوان 2009. وكلاهما يمثل حدّا تاريخيا وموضوعيا. إلا أن الأطفال لم يكن بوسعهم البقاء على قيد الحياة طيلة تلك الفترة.

شرعت في متابعتهم ليلة عيد جميع القديسين، خلال ليلة ديفيلز نايت[8]: أضرموا النار في منزل مهجور. وبعد بضعة أيام، لاذوا بالفرار. كان ذلك في أوائل شهر نوفمبر. وفي نهاية الأمر، قررت أنه بإمكانهم الصمود حتى عيد الميلاد. وهو حد أقصى معقول. لكن ذلك أرغمني على قلب كل الواقع.

في الرواية، جنيرال موتورز لم تعد جنيرال موتورز، بل أصبحت *«المؤسسة»*. اضطرب التسلسل الزمني. أعدت النظر في كافة وثائقي حتى أحصرَها في مدة شهرين. وفجأة، ها أن كل شيء يتّضح. منطق الخيال يفرض نفسه على الواقع. فإذا تواصلت قصتي حول ذلك المجتمع الاستبدادي، والإفلاس، والغابة الحضريّة، حتى عيد الميلاد، يكون فصل الشتاء قد حل. الطقس بارد في الشتاء في ديترويت. وفجأة، تُصبح هذه المدينة، التي شاهدت منها ألف صورة، أكثر من مجرّد ديكور. بدأت تتحرك بشكل عضوي. أعاين ذهنيّا الثلج وهو يتساقط على العشب، ويخفف من وقع الخطوات. أرى الريح يندفع عبر النوافذ الخالية للعمارات الشاغرة وهو يُصفّر في دورانه داخل البيوت المهجورة. يُمكن لي أن أحسّ بالبرد الممزوج بطعم المعدن وهو يتسلل داخل الملابس المبتلة التي لا شيء يقدر على تدفئتها. أرى هالات الإنارة العمومية تنطفئ، وقد عوّضها لمعان الثلج الغريب تحت القمر الفضّي. ديترويت هذه، الوهمية، الخيالية، ليست واقعيّة أكثر من الحقيقة – في ديترويت الحقيقية في تلك الفترة، يموت الناس كل يوم.

7 – ليهمان بروذرز كان بنك استثمار متعدد الجنسيات أفلس بعد 158 سنة من النشاط. جنيرال موتورز مؤسسة أمريكية لصنع السيارات وُضعت تحت حماية القانون الأمريكي المتعلق بالإفلاس في غرة يونيو 2009

8 – ديفلزنايت، 30 أكتوبر، هي الليلة التي تسبق عيد هالوين.

لكنها تُصبح قابلة للتواصل والاستعراض. في المدينة-الآلة، يمكن لنا أن نتخيّل مُجدّدا مصير بعض البشر. مقاومات ضئيلة. وإذا ما تواصلت القصّة إلى يوم عيد الميلاد، فذلك يعني أنها حكاية، و ليس بالضرورة حكاية قاسية. وقد يتمكّن الأطفال من النجاة.

وتُصبح المدينة سيركا من جديد، حيث يتقرر مصير بهلوانيين مجهولي الهوية، دون شبكة وقاية، ينزلقون من أرجوحة إلى أخرى، يتلامسون دون أن يرى بعضهم البعض، ويلتقطون بعضهم البعض في الهواء، آملين شيئا من الراحة، أو ملاقاة، كمعجزة في مستوى الانسان، تحت خيمة سقفها مُرصّع بالنجوم.

توما ب. ريفردي كاتب فرنسي ولد سنة 1974، وقد أحرز على عدة جوائز عن رواياته نذكر منها بالخصوص *آخر الأضواء* (2008)، *ظهر العالم* (2010)، *المُتبخّرون* (2013)، *قصّة مدينة* (2015)، *وشتاء السخط* (2018).

الأسماء العلم المذكورة

- بودلير، شارل (1821–1867)، شاعر فرنسي
- رامبو، أرتور (1854–1891)، شاعر فرنسي
- لودوف، شارلي (1966)، صحافي أمريكي
- ليبسكند، دانيال (1946)، مهندس معماري أمريكي
- ماك كارتي، كورمك (1933) كاتب أمريكي
- مور، توماس (1478–1535)، فيلسوف، عالم دين، ورجل قانون، وسياسي انجليزي، مُؤلّف *يوتوبيا*

إحياء روح الموصل

في شهر فبراير من سنة 2018، وبمناسبة المؤتمر الدولي حول إعادة إعمار العراق الذي انتظم في الكويت، أطلقت اليونسكو مبادرة *«إحياء روح الموصل»*، جمعت، تحت إشراف المنظمة، المجموعة الدولية من أجل المساهمة في إعادة إعمار تلك المدينة المُنهكة بالحرب، والنهب، والدمار، مع الأخذ في عين الاعتبار ضرورة إدراج إعادة الإعمار في تاريخ المدينة المتسم بالتعددية وتلاقي الثقافات والأديان في الشرق الأوسط.

في ظل حكم داعش، تم تخريب تراث الموصل وانتهاك هويتها: دُمرت أماكن العبادة (مساجد، كنائس)، وضريح النبي يونس، والتماثيل الآشورية والبارثية لمتحف الموصل، وأحرقت مكتبة المدينة عمدا (بما تحويها من آلاف الكتب القديمة)، بالإضافة إلى تهريب الآثار.

لقد دمر الاحتلال الداعشي تماما النظام التربوي في العراق، من مدارس ما قبل الابتدائي إلى التعليم العالي. وقد اضطرّ الأولياء على سحب أبنائهم من المدرسة، بسبب تعويض مواد التاريخ والفنون بمحتويات تحثّ على الكراهية. أما التلاميذ الذين بقوا فيها، فقد تعرّضوا إلى عملية غسل الأدمغة بصفة مُمنهجة، بفعل المُدرّسين الذين أُجبروا على نقل إيديولوجية داعش المتطرفة.

وبالنظر إلى هذه الحالة، فمن الضروري ألا تقتصر إعادة الإعمار على ترميم التراث الثقافي، وأن تشمل أيضا إسترجاع الكرامة والذاكرة.

لذلك، أرادت اليونسكو تعبئة المجتمع الدولي لعرض مبادرة تكون في نفس الوقت ذات طابع تراثي، وثقافي، وتربوي. ويتم تنفيذ هذه المبادرة، بمَحاورها الثلاثة، بالتعاون مع الحكومة العراقية ومساهمة عديد الأطراف: الدول المجاورة، والمنظمات الدوليّة، والاتحاد الأوروبي، بهدف منح الموصل أفقا ونفسا جديدين.

بالإضافة إلى ترميم الآثار وإعادة تأهيل النسيج الحضري التاريخي للموصل، سيتمّ إعادة بناء المنازل في المدينة العتيقة (الموصل والبصرة)، و تكوين مُختصّين في التراث الثقافي، وذلك في إطار مشروع يحظى بدعم الاتحاد الأوروبي، أساسه منهج تشاركي يرمي إلى تطوير الكفاءات وخلق مواطن الشغل، دعما للتّماسك الاجتماعي والمصالحة بين المجتمعات.

© Zaid AL-OBEIDI / AFP

وفي نفس الاتجاه، تمت صياغة وثيقة تتضمّن جردا للمواقع الدينية التي أضرت بها داعش، للاستناد إليها كمرجع في ورشات الحوار بين الأديان، وفي دعم إعادة خلق الروابط بين المجتمعات. كما يجري الإعداد لخطّة عاجلة لحماية التراث اللامادّي المُهدّد، وبعث *«فضاءات ثقافية مُتنقّلة»* لصالح السكان الذي أُجبروا على النزوح والتجمّعات التي استقبلتهم.

هذا وطلبت الحكومة العراقية من منظمة اليونسكو مساعدتها على وضع استراتيجية وطنية في مجال التعليم للفترة 2020-2030 بهدف إعادة بناء أسس نظام تربويّ يستجيب إلى حاجيات السكان. وبالتوازي مع ذلك، يتم تفعيل عدة مشاريع تربويّة للوقاية من عودة ظواهر التطرّف وإعادة خلق المناخ الملائم للتعايش.

ودعما للتسامح والتعايش السلمي على المدى الطويل، سيتم تخصيص مشروعين لصالح المدارس الابتدائية في مدينة الموصل العتيقة حتى تصبح أماكن آمنة تمكن التلاميذ من الانشراح، والتعلم والتفاعل مع الغير في كنف الاحترام.

ويرتكز هذان المشروعان، المدعُومان من اليابان وهولندا، على منهج شمولي يشرك الأطفال، والمُربّين، والمجموعات، والأولياء والطاقم التعليمي، في الوقاية من التطرّف العنيف. كما أن النهوض بالتعليم العالي سوف يكون أساسيّا في إعادة بناء الدولة ونظامها الإنتاجي. وعلاوة على المسعى الاقتصادي البحت، فإن الأمر يتعلّق أيضا بمساعدة المؤسسات، مثل مكتبة الموصل الجامعية، على استرجاع سالف مكانتها كمراكز ثقافية وفكرية.

تندرج كل هذه المشاريع في منطق واحد: الحماية، وإعادة البناء والتثقيف. إن الثقافة والتربية هما الحلّان الوحيدان على المدى الطويل لمكافحة التطرّف العنيف وما يتأتى عنه من دمار. ويستجيب هذا التمشّي إلى رؤية الحكومة العراقية، إذ أنه يعود لها تفعيل هذه المبادرة محليّا، بينما تواصل اليونسكو دورها التنسيقي.

ستيفانيا جيانيني نائبة المدير العام للتربية، وإرنستو أوتوني راميراز نائب المدير العام للثقافة، اليونسكو.

عازف التشيلو العراقي كريم الواصفي مع الأوركسترا في أنقاض مدينة الموصل العتيقة التي دمرتها الحرب، يوم 10 نوفمبر 2018.

التعلم في ربوع المدينة

تسعى شبكة اليونسكو العالمية للمدن التعليمية، التي ترتكز على مبدأ تبادل الأفكار والحلول بين المدن، إلى تحقيق هدفين: ضمان التعليم الجيّد بصفة عادلة ودون إقصاء من خلال توفير امكانيّات للتعلّم مدى الحياة للجميع، وجعل المدن مفتوحة للجميع، آمنة، ومرنة ومستدامة.

وتنعقد كل سنتين ندوة دوليّة حول المدن التعليمية، تُوفّر أرضية للتحاور حول السياسات المتبعة وتبادل الممارسات الجيّدة. وبهذه المناسبة، يتم إسناد مكافآت اليونسكو للمدينة التعليمية. هذه السنة، خلال الندوة الدولية الرابعة حول المدن التعليمية المنعقدة في مدلين (كولمبيا)، أحرزت عشر مدن على الجوائز، مكافأة لتعهداتها المثالية، وهي: أسوان (مصر)، شنغدو (جمهورية الصين الشعبية)، هرقليون (اليونان)، إيبادان (نيجيريا)، مدلين (كولمبيا)، ميليتوبول (أكرانيا)، بيتالينغ جايا (ماليزيا)، سنتياغو (مكسيك)، سيوديمون-غو (جمهورية كوريا)، وسندربورغ (الدانمارك).

ولنكتفِ ببعض الأمثلة: في شنغدو، تم ربط مواضيع التعلّم بمواضيع مسارات التفسح عبر المدينة؛ وأعادت مدلين إدماج أكثر من 4500 *«منقطع عن التعليم»*، مُكرّسة جهودها لجميعهم فردا فردا؛ ووفّرت بيتالينغ جايا خدمات مجانية للنقل بالحافلة في أربع مسارات بالمدينة، مع تجهيز الحافلات بشاشات لعرض الأخبار. تلك هي بعض الأمثلة التي تدل على أن شبكة المدن التعليميّة لا تفتقر للعزيمة أو للأفكار الجيّدة!

الثقافة : مفتاح المدن الإبداعية

الصناعات التقليدية والفنون الشعبية، الفنون الرقمية، التصميم، السينما، فن الطهي، الأدب، الموسيقى. تلك هي مفاتيح أبواب المدن الإبداعية لليونسكو.

وترتكز هذه المدن، التي تجتمع في شبكة تستمر في التوسع منذ 2004، على الابتكار وعلى الصناعات الثقافية التي تُعتبر عوامل استراتيجية للتنمية المُستدامة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي. تضمّ الشبكة، حاليّا، 180 مدينة تقع في 72 دولة. وهي تُمثّل أرضيّة للعمل، في مستوى المدينة، من أجل تحقيق برنامج التنمية المستدامة في أفق 2030 للأمم المتحدة.

وفعلا، من بين الأهداف السبعة عشر لبرنامج 2030، يُؤكّد الهدف 11 ـ *«جعل المدن والمستوطنات البشرية شاملة للجميع وآمنة وقادرة على الصمود ومستدامة»* ـ على الدور الأساسي للثقافة في الوسط الحضري. وهذا ما دفع اليونسكو لبعث مبادرة دُوليّة تُرجمت بالخصوص في التقرير العالمي لليونسكو حول الثقافة من أجل التنمية الحضرية المستدامة (2016). ويضبط هذا التقرير الوضع الحالي في العالم بخصوص حماية التراث الحضري وحفظه وإدارته، وكذلك تنمية الصناعات الثقافية والإبداعية.

الثقافة هي الحمض النووي للمدن، حسب تعريف الكاتب البريطاني شارلز لاندري الذي قام بتبسيط مفهوم المدينة الإبداعية منذ الثمانينات كما يلي: *«هي المدينة التي تُبيّن لنا من نحن، أين نتواجد، من أين أتينا، وإلى أين نحن ذاهبون»*.

حلب: خطوة أولى نحو التعافي

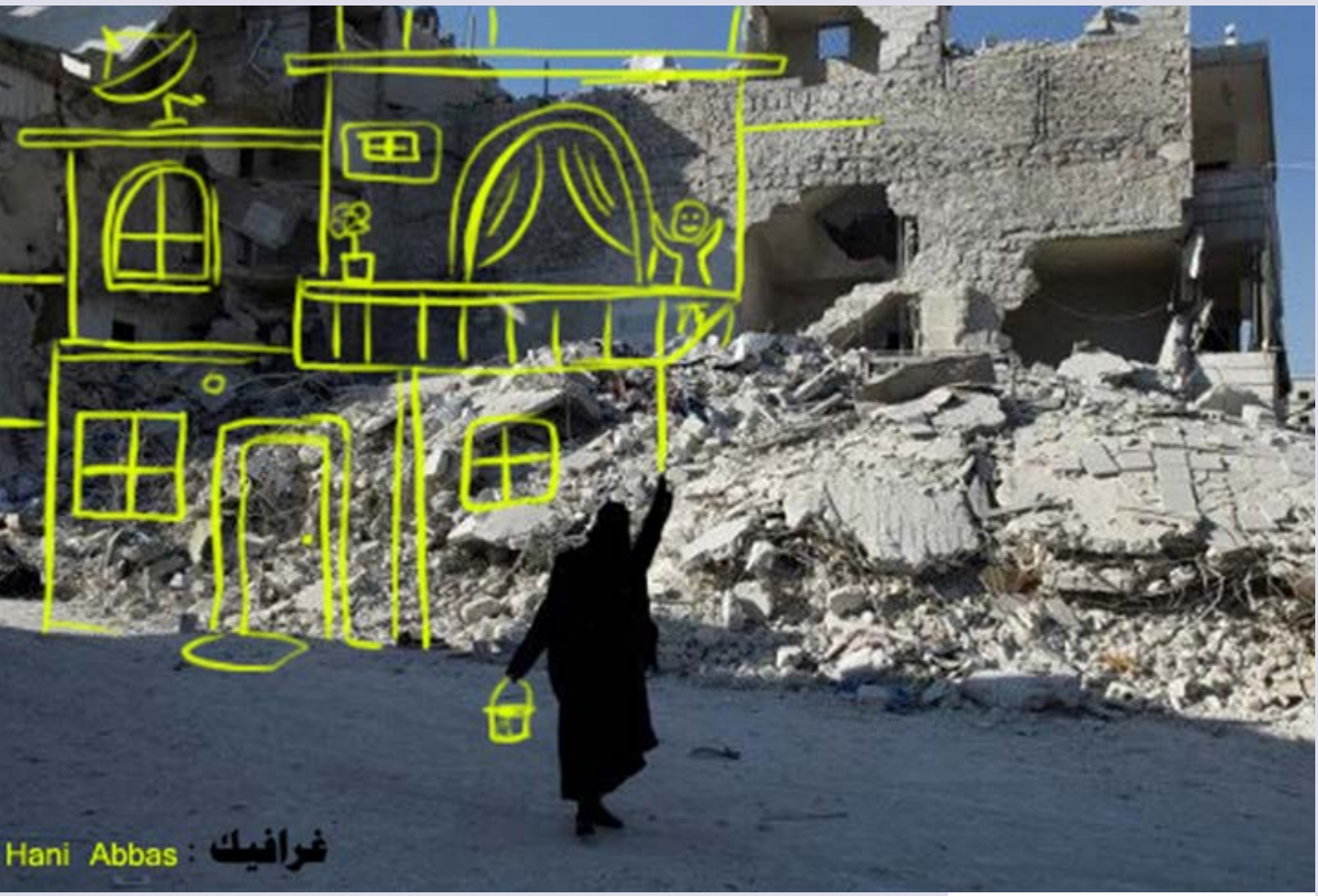

© Hani Abbas (Palestine / Syrie) / Cartooning for peace

«شالنج أوف ماس» (تحدي جماهيري)، حلب، سوريا، 2013. عمل فني من مجموعة كرتونينغ فور بيس (الرسم الهزلي في خدمة السلام)، وهي شبكة دولية للرسامين الصحفيين الملتزمين، تحظى بدعم اليونسكو.

لقد تسبب النزاع السوري في خسائر فادحة في الأرواح وألحق أضراراً جسيمة بالمدن والهياكل الأساسية، بالإضافة إلى تدمير الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب السوري وتراثه الثقافي. أما مدينة حلب العتيقة، المدرجة على قائمة اليونسكو للتراث العالمي في عام 1986، والتي كانت تعتبر في ما مضى مثالاً لأفضل الممارسات في مجال صيانة المواقع الحضرية، فقد تم تسجيلها في عام 2013 على قائمة التراث العالمي المُعرّض للخطر، جراء الأضرار الهائلة التي لحقتها وحولت العديد من أحيائها إلى ركام.

وفي دراسة* أجرتها اليونسكو مع معهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث، تم إحصاء ما لا يقل عن 500 من الممتلكات المتضررة، منها قلعة حلب، والعديد من الأسواق، والمتاحف، وأماكن العبادة وغيرها من المباني التاريخية.

وتمثل الدراسة أول عملية جرد شاملة للأضرار المادية والخسائر في مخزون الذاكرة التي لحقت حلب بين عامي 2013 و2017. ويذكر كل من المهندسة المعمارية ربى قاسمو، وهي أصيلة حلب، والجغرافي الفرنسي، جان ـ كلود دافيد، في نص مقدمة الدراسة، أن هذه المدينة شهدت ازدهاراً هائلاً في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، لما كانت عاصمة سلالة العموريين في مملكة يمحاض، وكانت تُعتبر *«مقر إله العاصفة، حلب»*.

وقد شارك في هذا المشروع الذي انطلق فور توقف القصف على المدينة في ديسمبر 2016، نحو عشرين خبير من أخصائيين في التراث الثقافي، ومؤرخين، وعلماء الآثار، ومهندسين معماريين، ومحللي الصور الملتقطة عبر الأقمار الصناعية.

> *الأضرار لم تصب الأحجار فقط. لقد تألمت روح المدينة*

وتحتوي الدراسة على صور للمدينة ومبانيها ملتقطة قبل وبعد نشوب النزاع، مصحوبة برموز الإستجابة السريعة للحصول على صور من الأقمار الصناعية ووثائق ثلاثية الأبعاد. وتوفر الدراسة قاعدة تقنية متينة لتخطيط عمليات إصلاح وإعادة تأهيل حلب، كما تفيد أن أكثر من 10% من المباني التاريخية في المدينة قد دمرت، وأن أكثر من نصف الأبنية التي تم تقييمها تعرضت لأضرار مصنفة بين المتوسط والفادِح.

لكن الأضرار لم تصب الأحجار فقط. لقد تألمت روح المدينة. إن ترميم الذاكرة يكتسي نفس الأهمية، إن لم يكن أكثر، مقارنة بإعادة تشييد المباني. فالجامع الكبير مثلا، الذي يُعتبر جوهرة من جواهر الحضارة السلجوقية، كان فريدا من نوعه، ليس بفضل مئذنته وتزويقاته الاستثنائية فحسب، بل وأيضاً لدوره الاجتماعي. لقد كان الجامع يمثل عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة السورية، تجتمع فيه أجيال متتالية من السوريين منذ تسعة قرون. ولذلك، فإن تدميره قد نال من جوهر المجتمع ذاته.

إن سكان حلب هم حرّاس تاريخ مدينتهم وذاكرتها. وسوف تعود لهم مهمة إعادة تنشيط الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فيها. وقد أهداهم المؤلفان هذه الدراسة التي من شأنها أن تساعدهم في التغلب على الصدمات التي سببتها الحرب.

شانتال كونوتون، (المملكة المتحدة) كاتبة ومحررة وخبيرة في مجال الاتصالات.

*أصدرت اليونسكو ومعهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث دراسة بعنوان «خمس سنوات من النزاع: حالة التراث الثقافي في مدينة حلب العتيقة». وقد أُنجزت هذه الدراسة بمشاركة كل من المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية والهيئة البريطانية المعنية بالآثار المعرضة للخطر في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وبتمويل من وزارة الخارجية النرويجية وصندوق الطوارئ للتراث التابع لليونسكو. 143 صفحة. ديسمبر 2018.

مدن مِضيافة

أصيبت العاصمة الفرنسية في 13 نوفمبر 2015 بسلسلة من الاعتداءات الانتحارية، كانت من أشد الاعتداءات فتكاً في تاريخ البلاد الحديث، وأثارت التعاطف في جميع أرجاء العالم. وفي تلك الأثناء، بعيداً عن الاضطرابات في باريس، تابعت ست كاميرات عن كثب الحياة اليومية لأب وابنته في بولونيا، إيطاليا؛ وأسرة في إشبيلية، إسبانيا؛ وعاشقين في ريغا، لاتفيا؛ وشاب وحيد في هامبورغ، ألمانيا؛ ومراهق عزوم في تولوز، فرنسا؛ وخِلِيلين يقترنان في لوريس، البرتغال. ليس هناك قاسم مشترك بين هؤلاء الأشخاص المنتشرين في جميع أنحاء أوروبا، سوى أن جميعهم من المهاجرين، ينتمون إلى الفئة التي ستواجه مزيدا من المصاعب جراء تشديد الإجراءات الأمنية والضوابط الرقابية على الحدود في أعقاب التفجيرات التي شهدتها باريس.

وشكلت كل قصة من هذه القصص الخيالية الست سيناريو فيلم من سلسلة تحمل عنوان *13.11* أنتجتها شركة إيلانفانت فيلم خصيصا للواب، في سنة 2017. الهدف: الكشف عن الوجه الإنساني للهجرة والتذكير بأنه، في عالم اليوم، يسجّل في كل دقيقة نزوح عشرين شخص عن ديارهم.

كانت مدينة بولونيا القوة الدافعة لهذا المشروع. وتضطلع المدينة بالدور القيادي في التحالف الأوروبي للمدن لمناهضة العنصرية الذي تم إطلاقه إثر المؤتمر الأوروبي الرابع للمدن المناصرة لحقوق الإنسان في عام 2004.

وفي نفس السنة، بعثت اليونسكو شبكة عالمية شاسعة تضم المدن الملتزمة بمكافحة العنصرية والتمييز وكراهية الأجانب والإقصاء في المناطق الحضرية. وتضم الشبكة تحت مسمى التحالف الدولي للمدن المستدامة الشاملة للجميع تجمعات إقليمية أُنشئت في أوروبا (2004)، وأفريقيا (2006)، وأمريكا اللاتينية والكاريبي (2006)، وآسيا والمحيط الهادئ (2007)، وكندا (2007)، والدول العربية (2008)، وأمريكا الشمالية (2013).

ومن بين القنوات المتنوعة لحث المدن على تبني ثقافة التضامن والتعاون، نذكر الاجتماعات المنتظمة لرؤساء البلديات، والمؤتمرات الدولية والنشرات. وعلى سبيل المثال، أطلقت اليونسكو في مايو 2016، بالاشتراك مع مؤسسة ماريانا ف. فارديونوانيس، سفيرة اليونسكو للنوايا الحسنة، مبادرة مدن مُرحِّبة باللاجئين. وأفضت هذه المبادرة، التي يشارك فيها التحالف الأوروبي للمدن لمناهضة العنصرية، إلى إصدار سنة 2016 نشرة (بالإنجليزية) تحمل نفس الاسم. وتعرض هذه النشرة لأول مرة خرائط وتحليلات مستفيضة عن المسائل المتعلقة بالمدن والهجرة، مع تركيز على أوروبا. كما تستعرض وجهات نظر الشبكات الدولية حول المدن والهجرة، وتستخلص مجموعة من المبادئ والخطوط التوجيهية والأنشطة المشتركة التي يجدر القيام بها في مجال الحوكمة الحضرية.

مدن ذكيّة

سلامة الموارد المائيّة، التطهير، العنف في المناطق الحضرية، اللامساواة، التمييز، التلوّث، البطالة... إن التحديات الناجمة عن التوسع الحضري في العالم هي تحدّيات خارجة عن المألوف. وتحتل المدن موقع الصدارة في مواجهتها، بما أنها تضمّ نصف سكان العالم، وهذه النسبة مدعوة للارتفاع إلى الثلثين في أفق سنة 2050. ويرمي مفهوم المدينة الذكية، الذي ظهر في بداية السنوات 2000، إلى إيجاد الحلول لهذه التحدّيات، من خلال التوفيق بين التكنولوجيات الحديثة والمُثل الإنسانيّة. وبفضل أنظمة حضريّة مبتكرة، تهدف المدن الذكيّة إلى دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية مع تحسين نوعية الحياة.

تفتح المدن الذكيّة آفاقاً رحبة. وحتى يكون هذا الذكاء مجديا، لابدّ أن يتضمن بعدا انسانيّا، ولا يؤدي إلى إقصاء أي كان. هذه هي الرسالة الأساسية التي يبلغها كتاب *«المدن الذكية : اختيار مجتمعي في أفق 2030»*، الصادر عن منظمة اليونسكو ومرصد ناتكسبلو، والذي يعرض بمناسبة منتدى ناتكسبلو السنوي الثاني عشر، من 17 إلى 19 ابريل 2019، في مقرّ اليونسكو بباريس.

وقصد تقييم مساهمة المدن الذكيّة في التنمية المستدامة، نظّمت اليونسكو بمعيّة وورلد تكنوبوليس أسوسايشن المعرض الخامس للتكنولوجيات الرفيعة، في أكتوبر 2018، في مدينة بينه ديونغ الجديدة بالفيتنام، تحت عنوان *«نحو فضاء أفضل للحياة : المدينة الذكية»*، حيث تمّ التحاور حول استراتيجيات وسياسات التنمية المستدامة، واقتراح حلول تكنولوجية لمختلف المشاكل المطروحة في المناطق الحضريّة.

يزد:
العيش في تناغم مع الصحراء

CC BY-SA 4.0 photo : Bernard Gagnon

قد يبدو للبعض أن المدن والتقاليد الثقافية هي مفاهيم متناقضة. فالمدن، بصفة عامة، تتوافق مع الحداثة، وطرق جديدة للعيش وفرص متعددة. ونتخيل أنها تنظر دائما في اتجاه المستقبل. أما التقاليد، فنراها ملتفتة للماضي، وحتى مزعجة في بعض الأحيان. وهناك من يعتبر أن المحافظة على التراث تتطلب الكثير من الوقت والمال مقابل مردود ضئيل.

إلا أن التقاليد لا تزال حية، تُنقل من جيل لآخر وتتطور باستمرار لتتناسب مع الاحتياجات الجديدة للمجتمعات، وتتكيف مع التغييرات الطارئة في محُيطتها. فهي، أكثر بكثير مما نتصور، مصدرا لحل المشاكل الحالية.

قنوات الري الإيرانية

في إيران مثلا، استفادت مدينة يزد القديمة من براعة سكانها الذين طوروا على مر القرون، الفنون والتقنيات الضرورية للعيش في تناغم مع الصحراء. لقد جعلوا من طبيعة بيئتهم القاسية مصدرًا للإبداع الفني، وتشهد على ذلك هندستها المعمارية، وبالأخص، التخطيط الحضري الذكي.

في يزد، صمدت الأبنية الطينية بطابعها الهندسي الأنيق أمام مداهمات الزمن والمناخ القاسي، مما أدى إلى إدراج المدينة التاريخية في عام 2017 في قائمة التراث العالمي. ورغم جفاف المناخ، تعمل نسبة كبيرة من سكان المدينة والمناطق المحيطة بها في الزراعة. كل ذلك بفضل المحافظة على البنية التحتية التي يعود تاريخها إلى ألف سنة، ألا وهي قنوات الري.

صممت تلك القنوات حسب نظام مدهش يسمح بتجميع المياه الجوفية، تم ابتكاره منذ آلاف السنين، وانتشر في ما بعد في عدة مناطق في الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط.

يشتمل هذا النظام على أروقة تمتد بانحدار خفيف تحت الأرض تتجمع فيها المياه، وآبار عمودية محفورة على مسافات منتظمة على طول هذه الأروقة تسمح بتهوية المنافق، وتنقل العمال ونقل المعدات والنفايات. لقد صمدت هذه التقنية أمام مرور الزمن وهي تشكل الآن مثالا يقتدى به لاستغلال المياه الجوفية بطريقة مستدامة.

وإلى يومنا هذا، لا زالت هناك 37.000 قناة قائمة الذات في إيران، توفر نحو 11% من مياه البلاد. ومنذ إنشاء شبكة توزيع المياه في عام 1961، أصبحت القنوات تُستخدم أساسًا للري. ويسهر المزارعون على توازن مستدام بين تدفق المياه والمساحات المزروعة، من خلال تعديل توزيع الماء بين المزارع التي تتطلب كميات كبيرة والبساتين ذات الاستهلاك المتواضع.

فالفكرة الأساسية لهذا النظام تكمن في أنه يعود للبشر التأقلم مع الموارد المائية المتاحة، وليس العكس.

ولا تمثل هذه القنوات مجرد بنية تحتية قديمة تمت المحافظة عليها. وما دام البحث عن المياه والتحكم فيها أمرا حاسما للحياة في الصحراء، بذلت التجمعات جهودًا جبارة لنقل هذه المعرفة الأساسية من جيل إلى جيل، مع تحسينها وتكييفها مع الواقع. وقد حُبك النسيج الاجتماعي إلى حد كبير حول مبادئ التقاسم والملكية وتوزيع الموارد المائية. وفي الوقت الحالي، حل مجلس منتخب للقنوات محل المجالس العامة التقليدية، لتسهيل أخذ القرار.

المدن والتراث غير المادي

في مطلع كل ربيع، ترتدي مدينة ريسيفي، الواقعة في أقصى شرق البرازيل، ملابسها الكرنفالية. لقد حان موعدها مع الموسيقى والرقص ومع التفاؤل والنشوة. وفي قلب الاحتفالات، الفريفو، تلك الموسيقى ذات الإيقاع الحيوي، التي تلتقي فيها الوتيرة المنتظمة للمسيرة العسكرية، ولحظات السكون للتانغو البرازيلي، والحبكة المتناغمة للرباعي الكاريبي، والوزن النابض لرقصة البولكا والإيقاعات المتنوعة لموسيقى الجاز - مزيج من ألوان موسيقية ذات أصول متنوعة، لكن جميعها يمثل الوسط الحضري.

إن الرقص على أنغام الفريفو يتطلب مهارات رياضية متميزة! فرقصة الباسو تتكون من أكثر من مائة حركة مظبوطة بصفة محكمة، تضفي عليها القفزات العالية وغيرها من الحركات البهلوانية، جواً من الفرح والحرية فريدا من نوعه.

يستمر الكرنفال أسبوعًا واحدًا فقط، لكن طيفه يحلق فوق المدينة طيلة السنة. واعتاد سكان ريسيفي، مهما كانت أعمارهم والطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، الالتقاء في أوقات الفراغ، للإعداد لكرنفال السنة الموالية. ويساهم كل منهم بمَهاراته ومواهبه ومعارفه في تأليف مقطوعات موسيقية جديدة، وابتكار حركات رقص جريئة، وتصميم أزياء تنكرية جديدة. ويبذل الجميع أقصى جهدهم لتحفيز مخيلتهم.

إذا كان لمجمل سكان ريسيفي قاسما مشتركا، فلن يكون إلا الفريفو التي تغذي فيهم الإحساس بالانتماء إلى نفس الثقافة، وتقوي فيهم قيم المجتمع والتماسك الاجتماعي. وهي بالذات تلك القيم التي أدت إلى تسجيل الفريفو على قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي في العام 2012.

إن التراث الثقافي غير المادي هو الجسر القائم بين القيم الثقافية التقليدية والقيم المعاصرة. إنه التعبير الحي للتقاليد الشفوية، والمهارات الحرفية، والعادات الفنية، والاجتماعية والطقوسية، والمعارف والخبرات الموروثة عن الأجيال السابقة.

في المناطق الحضرية، يعد هذا التراث الحي قوة خلاقة تربط المجتمعات وتعززها.

الحديقة التاريخية دولات-عباد في مدينة يزد (إيران)، بأحواضها ونافوراتها.

ضمانا لدوام الخبرات والمعارف

لقد تطورت كذلك مهنة «مقني» أي المكلف بصيانة القنوات. في الماضي، كانت المهارات الضرورية لاختيار أفضل المواقع لحفر الآبار، وإتقان تقنيات الحفر والتنظيف وصيانة الآبار والأنفاق، إضافة إلى الحكمة في إدارة المياه وتوزيعها، تنقل أبا عن جد. ومنذ حوالي 15 سنة، أصبحت المهنة تدرس في مدينة تافت على بعد عشرين كيلومترا جنوب يزد. اعتبارا من عام 2005، توفر كلية القنوات تكوينا في هذا الاختصاص لمدة عامين. ويتم تكوين الطلبة على المستوى النظري والتطبيقي في صحراء يزد، من طرف معلمين ذوي الخبرة التقليدية.

وقد تم منح المهنة اعترافا إضافيا يتمثل في إمكانية حصول المعلمين التقليديين على اعتماد من طرف وزارة العدل ليقوموا بحل النزاعات المتعلقة بالقنوات.

إن إدارة المياه في بلد يحتوي على العديد من المناطق الصحراوية مثل إيران هي، بطبيعة الحال، أمر عسير للغاية. في العقود الأخيرة، تم تطوير تقنيات جديدة لاستغلال وتقاسم الموارد المائية، لتلبية احتياجات الأعداد المتنامية من السكان، إلى جانب الاحتياجات الاقتصادية. وتتعارض هذه البنية التحتية الحديثة أحيانا مع النظم التقليدية، مما يؤدي في بعض الحالات القصوى، إلى نقص في المياه.

مع ذلك، تبقى القنوات المائية والخبرة المعرفية المستمدة منها ركيزة من ركائز التخطيط العمراني لمدينة يزد، وجزءًا لا يتجزأ من مشاريعها المستقبلية. لذلك، تم اعتماد آليات مؤسسية للإدارة والصيانة إضافة للنظام التقليدي. تشرف ثلاث هيئات حكومية على إدارة القنوات، في حين يتولى المركز الدولي للقنوات والهياكل المائية التاريخية، وهو مركز منتسب لليونسكو، إجراء البحوث وبرامج بناء القدرات.

الخلفيات الثقافية للسكان

تقدم يزد دليلا حيا على أن التراث الثقافي غير المادي يمكن أن يوفر أو يلهم حلولا ألمعية، تتطابق مع الظروف المحلية. للمدن حظ أوفر في النجاح في حث السكان على المشاركة في المشاريع التنموية، لما تعتمد استراتيجيتها على الممارسات المحلية، ولما تستفيد بأقصى ما يمكن من مواردها الثقافية. هذا يتطلب، بطبيعة الحال، تثمين التراث الحي من خلال تدابير حماية مناسبة، ومشاركة فعالة لأصحاب المعارف التقليدية.

تعيش المدن وتزدهر على إيقاع الأنشطة والتفاعلات بين ساكنيها. وسواء كانوا مستقرين منذ فترة طويلة أو قصيرة، فإنهم جميعًا يحملون معهم خلفياتهم الثقافية الخاصة بهم. إن معارفهم، ومعتقداتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم ورؤيتهم للعالم هي التي تشكل هويتهم وعلاقتهم بغيرهم، وبالتالي، علاقتهم بمدنهم.

فانيسا أشيلس (فرنسا) باحثة وكاتبة مستقلة.

إنقاذ المشهد الحضري:

جزيرة موزامبيق

تقع الجزيرة المرجانية إيلها موزامبيق التي أعطت إسمها لكامل البلاد، على بعد أربع كيلومترات من الساحل الشمالي للموزامبيق، في مدخل خليج موسوريل في المحيط الهندي.

هذه الجزيرة كأنها قطعة صغيرة من الجنة. يبلغ طولها ثلاث كيلومترات وعرضها من 200 إلى 500 متر، أما مساحتها الحضرية فتبلغ حوالي كيلومتر مربع واحد.

وهي بوتقة ثقافية تأثرت بحضارات مختلفة، امتزجت في ما بينها: البانتو والسواحيلية والعربية والفارسية والهندية والأوروبية. كما تعكس هندستها المعمارية الغنية تاريخها، بكل ما مر به من مآسي واضطرابات. بدأ يتردد على الجزيرة زوار يتكلمون لغة البانتو منذ سنة 200، وتم إدراجها على خارطة طرق الملاحة في المحيط الهندي منذ الألفية الأولى.

بالإضافة إلى تدهور تراثها المبني، تواجه مدينة ماكوتي تحديات تفاقم عدد السكان والفقر.

© Peter Hess

وفي الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى القرن السادس عشر، كانت تسيطر عليها التجارة العربية. وأصبحت هذه المدينة المحصنة الواقعة في تقاطع الطرق البحرية البرتغالية الرابطة بين أوروبا الغربية وشبه القارة الهندية، وفي ما بعد ببقية القارة الآسيوية، عاصمة شرق أفريقيا البرتغالية ومحطته التجارية، وذلك طيلة أربعة قرون (1507-1898).

تتميز الهندسة المعمارية الرائعة للجزيرة بوحدتها المتناسقة، بفضل استخدام نفس تقنيات البناء والمواد والمبادئ الزخرفية، منذ القرن السادس عشر. واعترافا لأهميتها التاريخية العالمية، ونسِيجها الحضري، وتحصيناتها وغيرها من النماذج المعمارية الاستثنائية، تم إدراج جزيرة موزامبيق في قائمة التراث العالمي لليونسكو في عام 1991.

ويتسم طابعها المعماري بتواجد نوعين مختلفين من المساكن والأنظمة الحضرية: مدينة الحجر والجير، ومدينة سقوف سعف النخيل.

وتتميز المدينة الحجرية التي تحتل نصف الجزيرة الشمالي، بمنازلها المصنوعة من الحجر الجيري وخشب من أصل سواحلي، والمطبوعة بتأثيرات عربية وبرتغالية. تشهد بناياتها الدينية، والإدارية، والتجارية والعسكرية على دورها كمركز سابق للحكومة البرتغالية الاستعمارية. ورغم أنها تغطي ثلثي مساحة الجزيرة، لا يقطن فيها إلا جزء صغير نسبيا من السكان.

أما مدينة ماكوتي التي تقع جنوب الجزيرة – اسمها مشتق من كلمة ماكوتي التي تعني سعف النخل المستخدم في بناء سقف البيوت – فهي تتسم بتعدد الأشكال المعمارية السواحلية المحلية. ونظراً لكثافة سكانها الموزعين على سبعة أحياء، فهي تعاني من نقص حاد في المياه، وانعدام خدمات الصرف الصحي، بالإضافة إلى تعرضها لمخاطر الفيضانات الموسمية.

وبسبب قيمتها الكونية الاستثنائية، أصبحت الجزيرة عرضة لتهديدات متعددة، مثل التطور العشوائي وانعكاسات العولمة الثقافية. كما ساهمت عوامل أخرى في تدهور المباني التراثية: نقص الموارد المالية، وعدم توفر الهياكل الأساسية الملائمة، وغياب توعية السكان المحليين بأهمية صيانة التراث، وكذلك ضعف قدرات المؤسسات في إدارة عمليات الصيانة.

واستنادا إلى تقييم لحالة المباني في المدينة الحجرية، تدهورت حالتها بنسبة 15% بين عامي 1983 و2012.

وهذا ما شجع على تركيز المبادرات التي تقودها منظمة اليونسكو، على مجالين رئيسيين: ظروف السكان الحياتية والسكنية في أحياء ماكوتي، وتدهور حالة المباني التراثية في المدينة الحجرية.

بعد اعتماد توصية اليونسكو بشأن المشهد الحضري التاريخي في عام 2011، تقرر تطبيقها للنهوض بالجزيرة.

ويوفر هذا المنهج الدعم الفني اللازم للمدن في جميع أنحاء العالم، من خلال برنامج اليونسكو لمدن التراث العالمي، لمساعدتها على إدراج صيانة التراث الحضري بشكل أفضل في استراتيجياتها المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية. وقد مكن هذا المنهج من تعزيز آلية الحوكمة في مجال التنمية المستدامة لجزيرة موزامبيق.

ألبينو جوبيلا، مكلف بإدارة البرامج، صندوق التراث العالمي الأفريقي في جنوب أفريقيا.

مسألة المياه في المدن الكبرى

يعيش في الوقت الحالي أكثر من نصف شعوب العالم في المدن، ومن المتوقع أنه بحلول عام 2050، سوف تبلغ نسبة سكان المدن 68% من مجمل سكان العالم. وقد تم بالفعل بلوغ هذه العتبة في أمريكا اللاتينية. وتمثل الهجرة إحدى الأسباب الرئيسية لهذا التوسع الحضري الحثيث، إذ أن المدن تستقبل ثلث المُشرَّدين في العالم، وعددهم الإجمالي 66 مليون نسمة. في عام 1970، كانت هناك ثلاث مدن تعد أكثر من عشرة مليون ساكنا. وبعد عشرين عاماً، ارتفع عدد هذه المدن الكبرى إلى عَشرة. وبحلول عام 2014، بلغ عددها ثماني وعشرين. ووفقاً للتقديرات، فسوف يبلغ عددها إحدى وأربعين مدينة بحلول عام 2030.

في عام 2015، تم إطلاق تحالف المدن الكبرى من أجل المياه والمناخ، وهو منتدى للتعاون الدولي، تسخر له اليونسكو الأمانة، يتيح للمدن الكبرى استخلاص الدروس من تجارب بعضها البعض، والتعاون مع المؤسسات التقنية والأكاديمية والمالية وبلورة حلول لرفع التحديات المترتبة عن تغير المناخ.

وأجرت اليونسكو سنة 2016 دراسة دقيقة لخمس عشرة مدينة كبيرة بالتعاون مع الجمعية الفرنسية آرسو إ.د.ف نشرت تحت عنوان «المياه والمدن الكبرى والتحول الشامل». وتكشف الدراسة على وجه الخصوص عن التحديات المشتركة التي يتعين على تلك المدن مواجهتها، ومن بينها ضخامة حجمها، والفوارق الاجتماعية، وتوفير المياه، وخدمات الصرف الصحي وإدارة الموارد الطبيعية على نحو مستدام.

وبالفعل، فإن هذه المستوطنات البشرية الكثيفة تواجه كل يوم تهديدات جديدة مرتبطة بالنمو السكاني، وتغير المناخ وتدهور البنية الأساسية. وينطبق ذلك بصفة خاصة على البلدان النامية في آسيا، حيث تمثل المدن الكبرى مصدرا لأكثر من 20% من الناتج المحلي الإجمالي. لذلك، فإن التوفيق بين توفير المياه وتأمين خدمات موثوقة في متناول الجميع ومستدامة، يشكل في مثل هذه المدن تحديا حقيقيا.

وشكلت هذه المسألة الموضوع الرئيسي للحلقة الدراسية التي نظمتها اليونسكو في فبراير 2018 تحت عنوان بناء المرونة الحضرية، على هامش الدورة التاسعة للمنتدى الحضري العالمي التي عُقدت في كوالالمبور، ماليزيا. وتناولت النقاشات السبل الكفيلة بتكييف إدارة المياه مع تداعيات تغير المناخ في المدن الكبرى، وضرورة تحسيس الرأي العام وتدريب السكان في هذا المجال. كما تم عرض مختلف المبادرات والممارسات لتمكين المدن من تحسين الخدمات الأساسية، بما فيها توفير المياه العذبة وخدمات الصرف الصحي.

إن عمليات تخطيط وإدارة المدن، وبناء قدرتها على التكيف، وتزويدها بالمعدات الضرورية لتوفير الأمن المائي لسكانها، إنما تشكل عاملاً أساسياً لتحقيق ازدهارها. وهذه هي مهمة برنامج إدارة المياه في المناطق الحضرية الذي يساعد الدول الأعضاء في اليونسكو على إيجاد حلول للمشكلات التي تواجهها في هذا المجال، من خلال تقديم الدعم، والتدريب، ونشر المعارف العلمية والمبادئ التوجيهية، وتبادل المعلومات بشأن شتى المناهج والحلول وأدوات الإدارة.

ويُصدِر البرنامج الهيدرولوجي الدولي التابع لليونسكو منذ أكثر من عشر سنوات، سلسلة المياه في المناطق الحضرية، لفائدة الممارسين وأصحاب القرار والمربين الذين يعملون في مجال إدارة المياه في المناطق الحضرية، في جميع أركان العالم.

ماريا مجدالينا كارمين مندوسا (غيرارو، المكسيك) تطبخ البانيلا، وهو سكر طبيعي مستخرج من عصير القصب السكري. في عام 2017، ثلث سكان العالم يعتمدون على الطاقة الحيوية لطهي الطعام. وتستغرق عملية جمع الحطب ساعة ونصف تقريبا يوميا، وهو عمل تقوم به النساء في أغلب الأحيان.

حتى يعم النور كل أرجاء العالم

حفر مرحاض في ولاية كاياه بميانمار. في الجنوب الشرقي لآسيا، يبلغ عدد السكان المحرومين من التيار الكهربائي 65 مليون نسمة يعيش 95% منهم في أربعة بلدان: ميانمار، كمبوديا، إندونيسيا والفلبين.

الصور: روبان سالغادو إسكوديرو

النص: كاترينا مركيلوفا

تنشر *رسالة اليونسكو* هذا التحقيق المُصوّر بمناسبة اليوم الدولي للنور، في 16 مايو.

بينما كان يجول مناطق ميانمار الريفية، مصحوبا بمُعدّات للتصوير باهظة الثمن، تساءل المصوّر الإسباني روبان سالغادو اسكوديرو مرارا: «*هل يحق لي أن أتواجد هنا؟*» حل روبان بهذا البلد سنة 2014 بتكليف من منظمة خيرية. اندهش للنقص الفادح في الحصول على الكهرباء. «*أغلب القرى التي زرتها لم يتم ربطها بالشبكة*». من بين 53 مليون ساكن في ميانمار، يبقى 22 مليون منهم محرومين من هذه الخدمة التي كانت تبدو له، لحد الساعة، من الخدمات العادية. ولئن بلغت نسبة الحاصلين على الكهرباء في المدن 79%، فإنها تتدهور في المناطق الريفيّة حيث لا تتجاوز نسبة السكان القادرين على إنارة منازلهم ليلا 43%.عند الانتهاء من مهمّته، واصل روبان رحلته كمُصوّر مُستقلّ، عاقدا العزم على استحقاق تواجده هناك.

غايته جلب الانتباه لهذه المشكلة، ولو أنه لا يعرف أي طريقة يتوخاها لتحقيق ذلك. ولما التقى في بعض القرى بسكان مُجهّزين باللوحات الشمسية، بادرت إلى ذهنه فكرة سولار بورتريز (الصور الشمسية)، ملاحظا أن «*نوعية حياتهم تختلف تماما عن كل المحيطين بهم*».

إن الطاقة فعلا «*أساسيّة لتطوّر الإنسانية وازدهارها*»، كما تؤكّده الوكالة الدولية للطاقة في تقريرها 2017. فهي ضرورية لتحقيق العديد من أهداف التنمية المستدامة التي أعلنت عنها الأمم المتحدة في برنامج التنمية المستدامة في أفق 2030، وخاصة منها القضاء على الفقر (الهدف 1)، وحصول الجميع على تعليم جيّد (الهدف 4)، والمساواة بين الجنسين (الهدف 5).

وقد تم تخصيص أحد هذه الأهداف للطاقة النظيفة التي تبقى كلفتها معقولة (الهدف 7). وحسب التقرير، يقع الاعتراف لأول مرّة بالدور الأساسي للطاقة في التنمية. إلا أنه «*في العديد من البلدان، لا زال الحصول على الكهرباء يُعتبر امتيازا وليس حقّا*»، حسب ما صرّح به المصوّر. ففي سنة 2017، بلغ عدد المحرومين من الكهرباء في العالم ما يقارب المليار نسمة. ولكن كيف يمكن جلب انتباه العموم لهذه المسألة، وقد انتابهم اليأس في خضمّ الأحداث الدرامية التي يُشاهدونها كل يوم؟ يُجيب المصور أن الحل يكمن في «*إيجاد طرق جديدة مُبتكرة للتحسيس لهذه المشاكل، وفي سرد قصص تركز على البعد الإنساني*».

غورو دين شوكلا يسحب الماء لفائدة حفيده (الهند، 2015). سمح البرنامج الاستعجالي لتوفير الكهرباء لجميع العائلات، وهو من الأولويات الأساسية للحكومة الهندية، بمد كافة القرى بالطاقة الكهربائية في مطلع عام 2018.

يقطن كل من فاوستينا فلوريس كارانزا وخوان أستوديو جيزس منزلا تم تجهيزه بالطاقة الشمسية منذ فترة وجيزة (غيريرو، المكسيك). ولأول مرة، يتمكن الزوجان اللذان يتقاسمان الحياة الزوجية منذ 48 سنة، من مشاهدة بعضهما بعد حلول الليل.

كريستوبال سيسبيدس لورينزو وشريكه فرانشيسكو منزناريس كاغوا يحملان جوز الهند بعد جنيها في كوبالا (المكسيك)، لبيعها لمعمل إنتاج الزبد والزيت.

يلتقط روبان سالغادو الصور، مستعينا بإضاءة تقتصر على استخدام مصابيح «لاد» مُزوّدة بلوحات شمسية. ولم يكن يتوقع المصور أن النور المنبثق من الصور الذي يضفي على الصور طابعا يذكّر بأعمال رامبرانت، سوف يثير الإهتمام إلى هذه الدرجة. ولما نُشرت صور ميانمار في كل من مجلة *تايم ماغازين* الأمريكية ومجلة جيو الألمانية، نالت إعجاب جمهور القراء، مما دفع المُصوّر إلى تنظيم حملة لجمع تمويل تشاركي «لات ذار بي لايت ميانمار» (حتى ترى ميانمار النور)، بمساعدة قارئة نمساوية. ومكّنت الأموال التي تمّ جمعها من تجهيز 400 ساكن من ثلاث قرى بلوحات شمسية، في عام 2016.

منذ ذلك الحين، ما انفكّ المشروع يتطوّر. فقد جلب هذا المصوّر المبتدئ اهتمام المجلة الأمريكية *ناشيونال جيوغرافيك* فأرسلته، سنة 2015 إلى أوغندا جنوب الصحراء الأفريقية، ليواصل السلسلة. حسب التقديرات، سوف تأوي هذه المنطقة في حدود سنة 2030، حوالي 600 مليون نسمة من مجمل 674 مليون من المحرومين من الكهرباء على الصعيد العالمي. وفي نفس سنة 2015، انتقل روبان سالغادو إلى الهند، حيث يتمّ إنجاز أحد أكبر المشاريع في التاريخ في مجال توفير الكهرباء. لقد تمّ إيصال الشبكة الكهربائية إلى نصف مليار هندي منذ سنة 2000، ممّا يسمح للبلاد بأن تأمل في تحقيق هدف تعميم الكهرباء للجميع مع بداية سنوات 2020. وفي سنة 2017، جاب المصوّر أرجاء المكسيك.

وفي 2019، ينوي زيارة شعب نافاجو في المكسيك-الجديدة (الولايات المتحدة) ثم الانتقال إلى غواتيمالا وكولومبيا والفيلبين.

ومنذ ذلك الحين، يُنظّم روبان سالغادو ورشات في مدارس كافة التجمّعات التي يلتقي بها في إطار عمله. ومن خلال التجارب التطبيقية على المصابيح الشمسية، يتعلّم التلاميذ مفهوم الطاقة المُتجدّدة التي تُمثّل، حسب الوكالة الدولية للطاقة، الحل الأقلّ تكلفة للإستجابة لثلاثة أرباع الاحتياجات. ويُؤكد روبان سالغادو أنه «*بقدر ما يتم تحسيس الأطفال بشكل مُبكّر بأهميّة هذه المسألة، بقدر ما تكون الحظوظ أوفر لجعل أصحاب القرار في المستقبل واعين بها وقادرين على السير بنا في الاتجاه الصحيح*».

شريط ضوئي لصالح التربية في توغو

في يوم 21 فبراير 2019، غادرت شاحنة ميناء سان نازير (فرنسا)، وعلى متنها 65 مجموعة من المُعدّات، منها مصابيح لاد محمولة وقابلة لإعادة الشحن وأسلاك للشحن الشمسي في شكل أكياس مُجهّزة بشريط شمسي رقيق قابل للانثناء ومُتكوّن من مادّة عضوية، يكاد يكون تأثيره على المحيط مُنعدما. المرسل: شركة أرمور الفرنسية التي أنجزت، سنة 2016، هذه التكنولوجيا الضوئية المبتكرة. المُرسَل إليهم: 212 تلميذ من قرية أغو أكبلولو التي تقع شمال العاصمة لومي بالتوغو، تلك القرية التي لم يتم بعد ربطها بشبكة تزويد الكهرباء. في هذه البلاد الواقعة جنوب الصحراء الأفريقية، 35% فقط من بين 7,7 مليون ساكن يتمتّعون بالكهرباء. هذه العملية هي ثمرة اتفاقية شراكة عقدتها اليونسكو مع أرمور في ديسمبر 2018، بهدف توفير الإضاءة إلى الأطفال ليتمكّنوا من الدراسة ليلا.

في منطقة يانغون (ميانمار)، يعد التلاميذ واجباتهم المدرسية في مركز جماعي مزود بالطاقة الشمسية. أكدت الدراسات أن توفير الكهرباء عامل أساسي في تخفيض الأمية وتحسين نوعية التعليم. إلى حدود سنة 2017، تبلغ نسبة المدارس المزودة بالكهرباء في ميانمار 27% فقط.

في ولاية أوديشا (الهند)، يستعمل الصيادون الأضواء والسلال لمحاصرة السمك. حسب المعطيات الحكومية، تم توفير الكهرباء لكافة العائلات في هذه الولاية وعددها 9،6 مليون عائلة.

داو مو نان فلاحة من فرقة بادونغ (ولاية كاياه، ميانمار). أصبحت اللوحات الشمسية مصدرا للطاقة الدائمة والفورية، بعد انخفاض سعرها وتحسين مردودها.

عند غروب الشمس والعودة إلى بيته بعد أن قضى يومه في صيد السمك في بحيرة فكتوريا، يتولى الأوغندي لوكواغو كاليست تكسير الحجارة. يستخدم الحطام في بناء أسس البيوت. وبعد ثلاث ساعات من العمل، يشحن البضاعة في العربة، ليبيع كامل الحمولة مقابل 10 دولارات. في عام 2016، تم توفير الكهرباء لصالح 19% من السكان في أوغندا.

بفضل الطاقة الشمسية، يتمكن إبراهيم كالونجي وغودفروا متيزا من العمل لفترة أطول مما يوفر لهما دخلا إضافيا. حاليا، بلغت نسبة مد الكهرباء في أفريقيا جنوب الصحراء 43%.

صورة لراعي الفيلة تو لاي وهو يمتطي فيله، في منطقة باغو (ميانمار). منذ 300 سنة، يساهم رعاة الفيلة (أوزي باللغة المحلية) وحيواناتهم في استغلال الغابات بصفة مسؤولة.

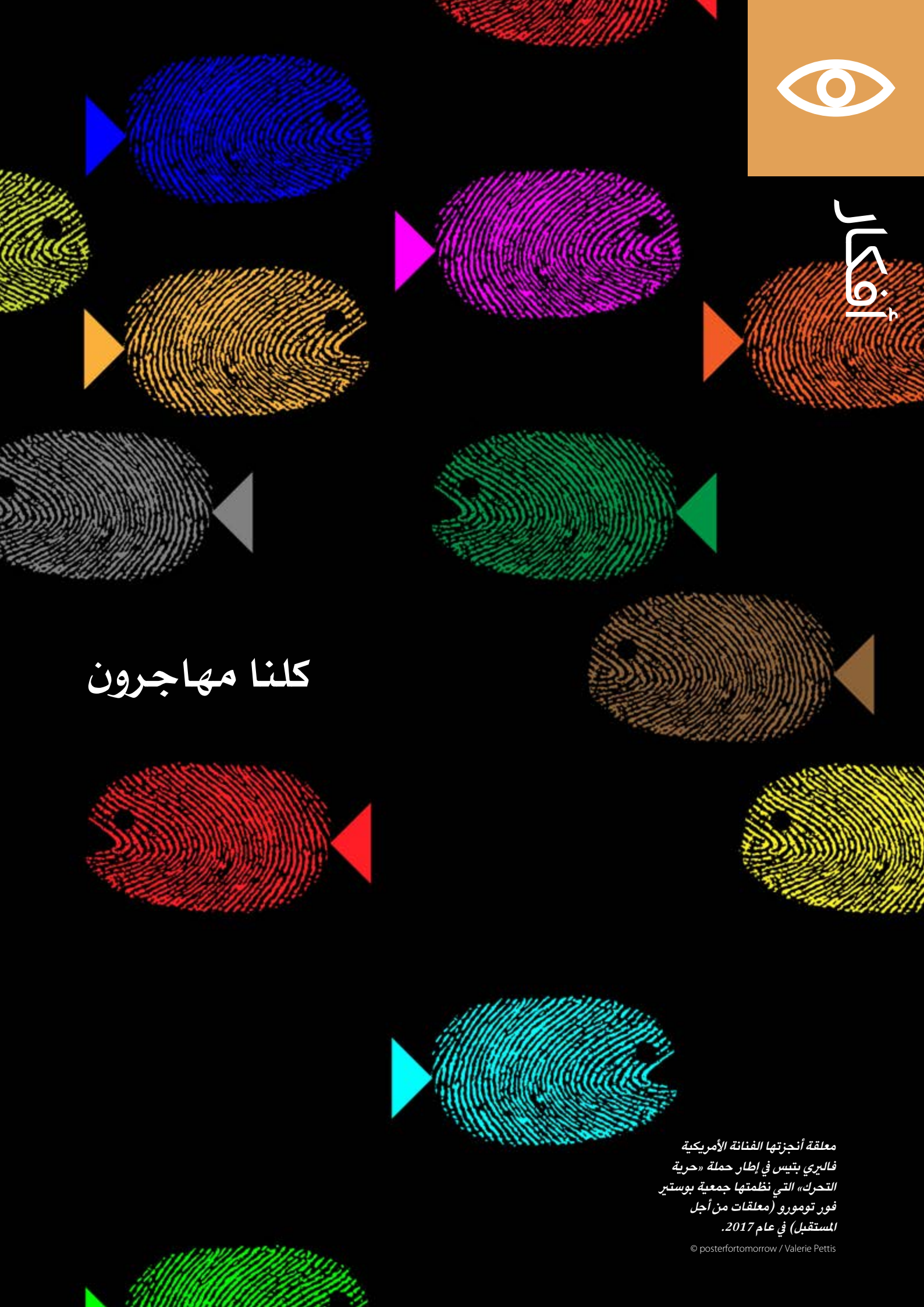

معلقة أنجزتها الفنانة الأمريكية فاليري بتيس في إطار حملة «حرية التحرك» التي نظمتها جمعية بوستير فور تومورو (معلقات من أجل المستقبل) في عام 2017.

© posterfortomorrow / Valerie Pettis

العنصرية لا تحتاج للعنصريين

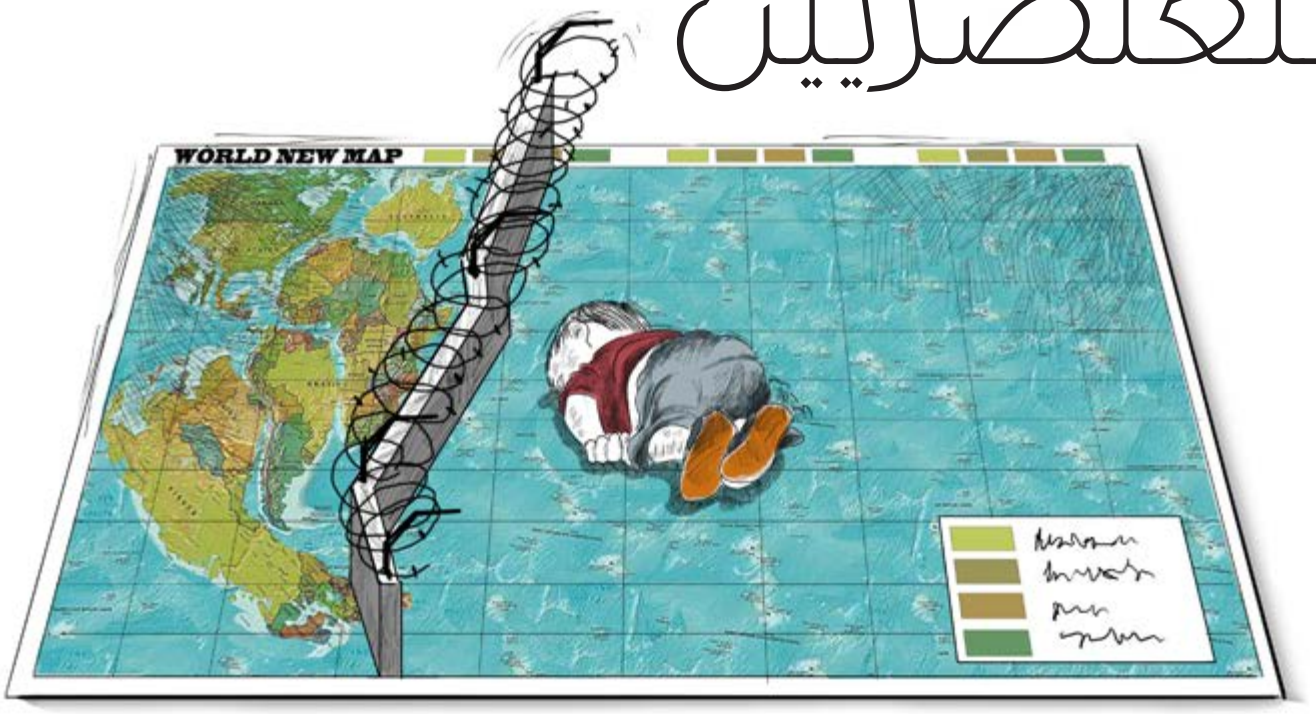

الخارطة الجديدة للعالم، رسم للفنان رأفت الخطيب (الأردن).

© Rafat Alkhateeb / Cartoon Movement

بقلم خورخي ماجفود

يرى الكاتب الأمريكي أصيل الأوروغواي خورخي ماجفود أن النقاش حول ما نسميه «أزمة الهجرة» له بعد عنصري يتكرر باستمرار منذ عدة قرون في قوانين وخطب وممارسات مختلفة. وبعد رحلة استكشافية عبر التاريخ، يذكّر الكاتب بأن هذا النقاش الساخن قد غيب إلى درجة كبيرة وجود نحو 1،5 مليون مهاجر من ذوي البشرة البيضاء مقيمين بصفة غير شرعية في الولايات المتحدة والمكسيك.

بمناسبة اليوم العالمي للاجئين في 20 يونيو، تخصص *رسالة اليونسكو* ركن «أفكار» إلى الأشخاص المشردين في العالم. وحسب الأرقام الأخيرة الصادرة عن وكالة الأمم المتحدة للاجئين، بلغ عددهم 68،5 مليون نسمة في سنة 2017، وهو رقم قياسي.

في محاضراتي، كنت دوما ولا أزال حريصا على التمييز بين الحقيقة والرأي، باعتباره مبدأ وممارسة ذهنية بسيطة للغاية، يفرضه علينا العصر الحالي الذي أصبح يستنكر فكر الأنوار. واعتبارا من سنة 2005 بدأ هذه الأمر البديهي يراودني لحد الهوس، عندما لاحظت البعض من طلابي يؤكدون أن *«شيئًا ما صحيح لأنني أؤمن به»*، ولم يكونوا يمزحون. ومنذ ذلك الحين، تساءلت إن كان مثل هذا التكييف الفكري، مثل هذا الخلط بين الفيزياء والميتافيزيقيا الذي أزَاحه ابن رشد قبل ألف عام تقريبا، والذي أصبح يفرض نفسه أكثر فأكثر، عاما بعد عام، (أعني الإيمان كقيمة عليا، بغض النظر عن الواقع) إنما يعود مصدره إلى الكنائس المهيمنة في جنوب الولايات المتحدة.

لكن التفكير النقدي أكثر تعقيدا من مجرد تمييز بين الآراء والحقائق. لِنكتف بمحاولة تعريف حدث ما. إن مفهوم الموضوعية في حد ذاته ينبع من منظور واحد واتجاه واحد، وفي ذلك نوع من التناقض. إذ أي واحد منا يعرف أنه لن يحصل إلا على جزء واحد من الواقع من خلال عدسة آلة تصوير أو كاميرا، وأن هذا الجزء هو في أغلب الأحيان خال من الموضوعية أو يُستخدم لتشويه الواقع إدّعاء للموضوعية.

لسبب ما، يهتم الطلاب بالآراء أكثر من الوقائع. قد يعود ذلك لإيمانهم بخرافة مفادها أن الرأي المستنير يُستخلص من آلاف الوقائع. وهذه فكرة خطيرة. ولكننا مجبرون على إبداء رأينا عندما يطلب منا. وفي هذه الحالة، كل ما يمكننا أو ما يجب علينا القيام به هو أن نذكّر بأن كل رأي حتى ولو كان مستنيرا، يبقى مجرد رأي لا بد من إثباته بالحجج أو تفنيده.

وجهة نظر

ذات يوم، كان الطلاب يتبادلون أطراف الحديث حول قافلة تضم 5000 فرد أصيلي أمريكا الوسطى (من بينهم ألف طفل على الأقل) متجهة نحو حدود الولايات المتحدة، هروبا من العنف الدائر في بلادهم. وقد أمر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بإغلاق الحدود واصفا هؤلاء المهاجرين البؤساء الباحثين عن ملجأ، بـ«الغزاة». وفي 29 أكتوبر 2018، نشر ترامب تغريدة على تويتر معبرا عن غضبه: *«هذا غزو لبلادنا، وجيشنا على تأهب!»* وقد كلف الولايات المتحدة هذا التجنيد على الحدود ما لا يقل عن 200 مليون دولار.

وبما أن أحد طلابي أصرّ على معرفة رأيي، تناولت الموضوع في البداية من جانبه المثير أكثر للجدل: إن هذا البلد، الولايات المتحدة، قد أخذ من الخوف من الاجتياح ركيزة، وقد عرف بعض الأشخاص كيف يستغلون هذا الضعف، وكانت عواقبه مأساوية. قد يكون مصدر جنون الشك هذا يعود إلى الغزو الإنجليزي عام 1812، ولكن التاريخ يثبت أنه لم يتم اجتياح أراضي الولايات المتحدة (إذا استثنينا اعتداءات 11 سبتمبر 2001، والهجوم على بيرل هاربور وهي قاعدة عسكرية في هاواي التي كانت في ذلك الوقت أرضا أجنبية، وقبل ذلك في بداية القرن العشرين اقتحام الحدود لفترة وجيزة من طرف شخص مكسيكي يمتطي حصانا، يدعى بانشو فيلا). في حين أن الولايات المتحدة تخصصت بالفعل في الاجتياح منذ تأسيسها: الاستيلاء على أراضي الهنود الحمر، ثم نصف أراضي المكسيك انطلاقا من تكساس، لإعادة العبودية في تلك الأراضي حتى كاليفورنيا، والتدخل بشكل مباشر في شؤون أمريكا اللاتينية من خلال قمع التحركات الشعبية ودعم الديكتاتوريات الدموية – كل ذلك باسم الدفاع والأمن، وكانت عواقب ذلك دائما مأساوية.

ولهذا، الظن بأن بضعة آلاف من المشاة البؤساء سوف يجتاحون أقوى بلد في العالم إنما هو مزحة رديئة. والشأن كذلك بالنسبة لتلك الحفنة من المكسيكيين المتواجدين على الجانب الآخر من الحدود، الذين تبنوا نفس خطاب الكراهية ضد الأجانب وأرادوا إخضاع غيرهم لنفس العنف الذي عانوا هم نفسهم منه.

وجهة نظر نقدية

وذكرت خلال الحديث، بصفة عرضية، أنه بالإضافة إلى جنون الشك الذي ليس له مبرر، فإن النقاش يحتوي على بعد عنصري.

فردّ عليّ أحد الطلاب: *«لست بحاجة لأن تكون عنصريا للدفاع عن الحدود»*.

وكان جوابي أنه بالفعل، لست بحاجة إلى أن تكون عنصريًا للدفاع عن الحدود أو القوانين. فللوَهلة الأولى، تبدو الفكرة غير قابلة للجدل. ولكن، لو أخذنا بعين الاعتبار التاريخ والسياق المعاصر بالمعنى الواسع، لتجلى على الفور أمام أعيننا نمط عنصري واضح.

في نهاية القرن التاسع عشر، كتب الروائي الفرنسي أناتول فرانس: *«مراعاة للمساواة، يحرم القانون على الأغنياء والفقراء على حد السواء النوم تحت الجسور والتسول في الشوارع وسرقة الخبز»*. لا حاجة لأن تكون من النخبة حتى تدافع عن ثقافة طبقية. ولا حاجة لأن تكون متحيزًا جنسيًا لممارسة أبشع أشكال التمييز الجنسي. في أغلب الأحيان، يكفي الانخراط، دون أي حس نقدي، في ممارسات ثقافية معينة والدفاع عن بعض القوانين.

ثم رسمت صورة هندسية على السبورة وسألت الطلاب ماذا يرون. أجاب الجميع: مكعبًا أو صندوقًا. وحتى الأجوبة الأكثر إبداعًا لم تتعد فكرة البعد الثلاثي، في حين أن كل ما رسمته هو ثلاثة معيّنات مجمعة في شكل سداسي. وقد ترى بعض القبائل في أستراليا في تلك الصورة إلا البعد الثنائي. فنحن نرى ما نعتقده، وهذا ما نسميه بالموضوعية.

إكستراناندو أل هوغار (الحنين إلى الوطن)، عمل فني من إنجاز تلامذة المعهد الأمريكي أناهواك في مدينة سان نيكولاس دي لوس غارزا بالمكسيك. أحرز على الجائزة الثانية في صنف مرحلة التعليم الابتدائي في المسابقة العالمية لشبكة المدارس المشاركة التابعة لليونسكو، التي انتظمت عام 2017 حول موضوع «فتح القلوب والأذهان أمام اللاجئين».

© UNESCO / Pataphonique Productions

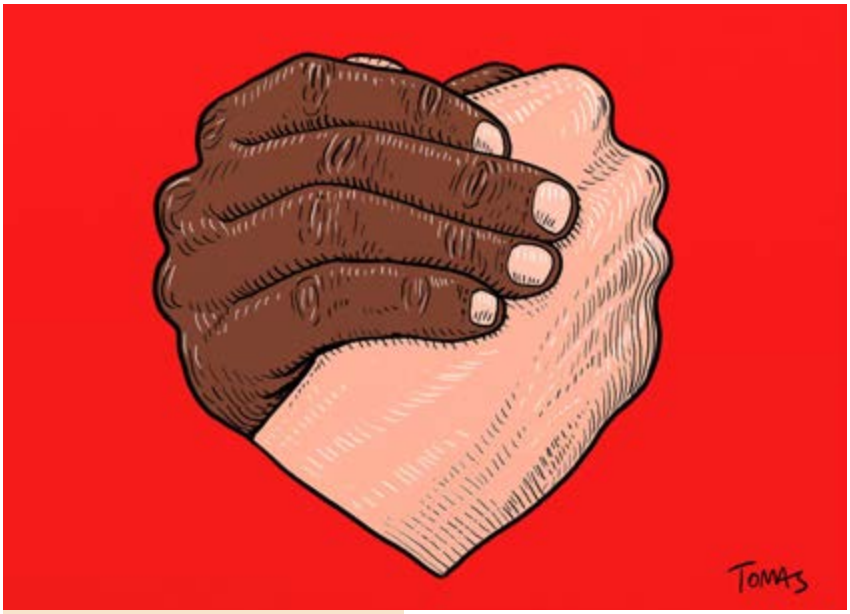

© Tomas / Cartoon Movement

ستوب راسيسم (وضع حد للعنصرية)، رسم للفنان طوماس (إيطاليا).

> *لا حاجة إلى أن تكون عنصريا لتتبع وتدعم النموذج العنصري والطبقي القديم، بينما تتشدّق بمفاهيم الرحمة والنضال من أجل الحرية والكرامة الإنسانية*

ازدواجية المعايير

عندما خرج الرئيس أبراهام لينكولن منتصرا من الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865)، وضع حدًا لديكتاتورية دامت مائة عام، لا زالت حتى يومنا هذا تسمى «ديمقراطية». في القرن الثامن عشر، كان العبيد السود يشكلون أكثر من نصف عدد السكان في ولايات عدة مثل ساوث كارولينا، لكنهم لم يكونوا يعتبرون مواطنين أمريكيين ولا كائنات بشرية يمكن لهم أن يتمتعوا بحد أدنى من الحقوق. وقبل فترة طويلة من عهد لينكولن، اقترح عدد من العنصريين ومن المناهضين للعنصرية، حل «مشكلة السود» بإعادتهم إلى هاييتي أو أفريقيا، حيث انتهى الأمر بالعديد منهم إلى تأسيس دولة ليبيريا (إحدى الطالبات، أدجا، من عائلة أصيلة هذا البلد الأفريقي).

واتّبع الإنجليز نفس الطريقة «لتخليص» إنجلترا من السود. إلا أنه في ظل حكم لينكولن، أصبح السود مواطنين، ومن بين الأساليب الرامية لتقليص عددهم ليصبحوا أقلية، تم منعهم من التصويت (من خلال فرض ضريبة على الاقتراع، مثلا) و أيضًا من خلال فتح حدود البلاد للمهاجرين الوافدين.

لا يزال تمثال الحرية الذي أهداه الشعب الفرنسي إلى الشعب الأمريكي بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لإعلان الاستقلال الأمريكي لسنة 1776، يردد بشفاه موصمة: «*آتني بالبؤساء والمتعبين وكل الحشود التواقة الى التنفس بحرية، التي لا يحصى عددها...*». وفعلا، استقبلت الولايات المتحدة أمواجا من المهاجرين الفقراء. بالطبع، كانت أغلبيتهم الساحقة من الفقراء ذوي البشرة البيضاء. وقد عارض الكثيرون قدوم الإيطاليين والإيرلنديين لكونهم كاثوليكيين ومن ذوي الشعر الأشقر.

ومع ذلك كان ينظر إليهم على أنهم أفضل من السود. ولم تكن في مقدرة السود الهجرة من أفريقيا، ليس فقط لأن المسافة بينهم وبين السواحل الأمريكية أطول بكثير مقارنة بالأوروبيين، ولكن أيضًا لأنهم كانوا أكثر فقراً، وكذلك لعدم توفر وسائل نقل بحرية بين سواحل أفريقيا ونيويورك، إلا نادرا. وكان الصينيون في موقع أفضل لبلوغ الساحل الغربي، ولا شك أن ذلك كان السبب في اعتماد قانون سنة 1882 يمنعهم من الدخول لمجرد كونهم صينيين.

من وجهة نظري، هكذا تمت بكل ألمعية ونجاعة، إعادة تشكيل التركيبة السكانية، أي التركيبة السياسية والاجتماعية والعرقية للولايات المتحدة. إن الانفعال الذي نشهده حاليا جراء التغيير في حجم عناصر هذه التشكيلة ليس إلا استمرارا لنفس المنطق القديم. وإلا، ما العيب في الانتماء إلى أقلية وفي الاختلاف عن الآخرين؟

لا حاجة لأن تكون عنصريا...

من المؤكد أنه، إذا كنت شخصًا صالحًا وكنت تؤيد تطبيق القوانين بشكل صحيح، فهذا لا يجعل منك شخصا عنصريًا. فلا حاجة إلى أن تكون عنصريًا عندما يكون القانون عنصريا والثقافة عنصرية. في الولايات المتحدة، لا أحد يحتج على المهاجرين الكنديين أو الأوروبيين. والأمر كذلك في أوروبا وحتى في المخروط الجنوبي لأمريكا الجنوبية [المنطقة الواقعة في الجنوب الأقصى لأمريكا اللاتينية، حيث أغلب السكان من أصل أوروبي]. لكن الجميع قلقون من السود والمهجّنين أصيلي الجنوب. لأنهم ليسوا بيضا أي «جيّدين»، ولكنهم فقراء أي «سيّئين».

في الوقت الراهن، يعيش ما يقارب نصف مليون مهاجر أوروبي بصفة غير شرعية في الولايات المتحدة ولا أحد يتحدث عنهم، كما لا يتحدث أحد عن المليون مواطن أمريكي الذين يعيشون في المكسيك، وأغلبهم بصفة غير شرعية.

بما أن ذريعة الشيوعية لم تعد صالحة (لا توجد من بين تلك الدول ذات الفشل المزمن التي يأتي منها المهاجرون، أية دولة شيوعية)، لم تبق لنا إلا المبررات العرقية والثقافية التي تعود إلى ما قبل الحرب الباردة. يُنظر الى جميع العاملين ذوي البشرة الداكنة على أنهم مجرمون وليس على أنهم يمثلون فرصة للتنمية المتبادلة. وأمام العمال الفقراء، ترتعش قوانين الهجرة خوفا.

صحيح أن لا حاجة إلى أن تكون عنصريًا للدفاع عن القوانين والمطالبة بحدود أكثر أمنًا. ولا حاجة إلى أن تكون عنصريا لتنخرط وتدعم النموذج العنصري والطبقي القديم، بينما تتشدّق بمفاهيم الرحمة والنضال من أجل الحرية والكرامة الإنسانية.

خورخي ماجفود أستاذ في الأدب الأمريكي اللاتيني والدراسات الدولية بجامعة جاكسونفيل في فلوريدا، في الولايات المتحدة. ألف هذا الكاتب المشهور ألأمريكي أصيل الأوروغواي العديد من الروايات منها *لا رينا دي* أمريكا (ملكة أمريكا) *وكرايسس أند تيكيلا* (أزمة وتكيلا)، بالإضافة الى عدة مقالات مثل نظرية الحقول الدلالية. كما يساهم بانتظام في عدة وسائل إعلام دولية.

الوجه الآخر للتعامل مع الهجرة

بقلم كاثرين ليفين آينشتاين

كشف تحقيق حديث العهد، شمل أكثر من مائة رئيس بلدية في الولايات المتحدة، أن الوضع على المستوى المحلي مرتبط إلى حد كبير بمدى إرادة هؤلاء المسؤولين بالمطالبة بنفس الحقوق للوافدين الجدد والصمود أمام تشدد السياسات الفدرالية المتعلقة بالهجرة.

في يونيو 2018 ، سافر وفد متكون من رؤساء بلديات ينتمون إلى الحزبين الأساسيين في الولايات المتحدة (الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري) ـ ومن بينهم ستيف بنجامين، رئيس مؤتمر رؤساء البلديات في الولايات المتحدة ـ إلى تورنيلو بولاية تكساس، للاحتجاج على سياسة إدارة الرئيس ترامب بخصوص تفريق أعضاء عائلات المهاجرين. منذ شهر أبريل 2017، تجاوز رؤساء البلديات منَافساتهم السياسية، ليتفقوا على المطالبة بإصلاح نظام الهجرة. كما احتجوا، في أكتوبر 2018، على قواعد الرسوم العمومية التي تعاقب *«المهاجرين ذوي الدخل الضعيف، من خلال رفض تسليمهم الفيزا والبطاقات الخضر لأنهم يحصلون على خدمات أساسية عينية يستحقونها بصفة شرعية»*. هذا التحرك مختلف تماما عن الاستقطاب الشديد الذي يعقد النقاش السياسي حول الهجرة في الولايات المتحدة.

لكن العديد من العقبات تقف دون القيام بإصلاح نظام الهجرة الذي تنادي به التجمعات المحلية، بالرغم من تجند رؤساء البلديات. ذلك أن احتجاجاتهم المعلنة لا تنفي الاختلافات الجوهرية بين رؤساء البلديات الأمريكيين حول المسائل المتعلقة بالهجرة، والعرق والعنصرية.

وبالفعل، في تحقيق على المستوى الوطني (تحقيق مينينو) أجراه فريقنا في مركز البحوث «إنيشياتيف أون سيتيز» (مبادرات حول المدن) بجامعة بوسطن خلال عامي 2017 و2018 شمل مائة رئيس بلدية يفوق عدد سكانها 75.000 نسمة، تبين أن 86% من رؤساء البلديات الذين ينتمون للحزب الديمقراطي يعتبرون أن المهاجرين، بغض النظر عن وضعهم القانوني، يجب أن يتمتعوا بالخدمات العمومية المحلية، مقابل 29% من الذين ينتمون للحزب الجمهوري.

وعلاوة على ذلك، فإن رؤساء البلديات الموافقين على رفض سياسة إدارة ترامب المتعلقة بالهجرة ليسوا متيقنين من قدرتهم على المرور من القول إلى الفعل. وإن كان 74% منهم يعتبرون أنهم يستطيعون القيام بالكثير لإلغاء مبادرات الشرطة الفيدرالية، تتقلص نسبة الذين يعتبرون أنهم قادرون على فعل الكثير للتصدي لسياسة الهجرة الفيديرالية إلى 31%. ولا غرابة في الفرق بين النسبتين. ذلك أن جزءا كبيرا من السياسات العمومية في الولايات المتحدة انتقلت من الولايات إلى السلطات المحلية، إلا أن السلطة الفدرالية احتفظت بالنفوذ التام على المسائل المتعلقة بالهجرة.

في هذا المجال، تحد قوانين الولايات كذلك من استقلالية السياسة المحلية للمدن. ورغم المساندة السياسية الواضحة التي أعلنتها بعض الولايات لهذه الاستقلالية، فهناك العديد من الولايات التي تعتزم حظر مدن الملاذ.*

وعلى سبيل المثال، أصدر حاكم ولاية تكساس – وهي ولاية سجلت تغييرا ديمغرافيًا هاما في العقود الأخيرة بفعل الهجرة – قانونا يمنع إنشاء مدن الملاذ. وينص هذا القانون على معاقبة أعوان الشرطة والمسؤولين المحليين في حالة عدم امتثالهم لأوامر أعوان الهجرة الفدراليين المتعلقة بتسليم المحتجزين الأجانب المعرضين للترحيل.

ومن ناحية أخرى، حتى في حالة وجود سياسات أكثر سلاسة على مستوى الولايات، تواجه البلديات كما هائلا من الصعوبات. في حين أن مواردها المالية محدودة في أغلب الأحيان، فهي ليست قادرة على توفير موارد إضافية بسبب القيود الضريبية والمالية المفروضة من قبل الولايات.

ومع ذلك، يبقى في متناول رؤساء البلديات وسائل أخرى لتحسين ظروف المهاجرين على المستوى المحلي، بصفة ملحوظة، لا سيما في مجال حفظ النظام. في العديد من الولايات، بإمكان السلطات المحلية تقرير عدم تطبيق بعض جوانب القانون الوطني المتعلق بالهجرة لتصبح مدن ملاذ. وكما جاء في بيان المؤتمر الأمريكي لرؤساء البلديات الصادر في 25 يناير 2017، *«تعمل مصالح الشرطة المحلية جاهدة لبناء الثقة ودعمها مع كافة التجمعات التي تخدمها، بما فيها تجمعات المهاجرين. لا بد أن يتمكن المقيمون في مدننا من الشعور بالثقة إزاء قوات الشرطة وإزاء كافة السلطات البلدية.»*

كما يمكن للبلديات تحسين ظروف استقبال المهاجرين من خلال إنشاء خدمات لدعم اندماجهم، وتوفير خدماتها في عدة لغات، والتدخل في الأحياء المعزولة بالإضافة إلى الاستعانة بموظفين من أصول متنوعة.

تمييز عنصري وعرقي

بإمكان البلديات ورؤسائها اعتماد سياسات تضمن المساواة في التمتع بالخدمات العمومية المحلية الجيدة لكافة التجمعات، المهاجرة وغير المهاجرة. لقد عمت التفرقة العنصرية العديد من المدن الأمريكية التي أضحت منقسمة بين الأحياء المخصصة للبيض والأحياء المخصصة لغيرهم، سواء كانوا من أصل أفريقي أو آسيوي أو إسباني. في بوسطن مثلا، لا بد من نقل 60% من السكان ذوي الأصول الإسبانية لتوزيعهم بصفة متناصفة على كامل المدينة وأحوازها.

هذا التمييز العنصري والعرقي يخلق فقرا مركزا يؤدي إلى تجمع الإقصاء الاجتماعي والاقتصادي في موقع واحد. وتنتج عن هذا الفقر المركز سلسلة من الأضرار على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي منها، على سبيل المثال، انخفاض فرص الشغل وارتفاع معدل الجرائم. وعموما، تكون الخدمات العمومية المتوفرة في تلك الأحياء أقل جودة.

وهناك أسباب عديدة لعدم الاكتراث بالمجتمعات المحرومة. بصفة عامة، سكان تلك الأحياء هم الأقل عددا من بين الذين يتوجهون إلى السلطات المحلية للحصول على الخدمات. كما أنهم، عموما، يفتقدون للوقت الكافي للاتصال بتلك المصالح، فضلا عن فقدان الثقة في حظهم لتلبية طلباتهم.

* مدن الملاذ هي تلك المدن التي تلتزم بحماية حقوق جميع سكانها، بما فيهم المهاجرين غير الشرعيين، وتوفير الخدمات الأساسية لهم. وفي الولايات المتحدة، تضمن هذه المدن أيضًا للمهاجرين غير الحاملين للوثائق القانونية الذين لم يقترفوا أي جريمة، عدم سجنهم أو ترحيلهم من قِبل السلطات الفيدرالية.

علاوة على ذلك، فإن المسؤولين السياسيين، في المتوسط، مهتمين أكثر بالناخبين الأغنياء. ولذلك، فهم أقل اهتماما بتلبية طلبات المحرومين. لقد تراكمت تداعيات هذا الانسحاب الاستثماري التاريخي من تلك التجمعات وأصبح من الصعب التغلب عليها.

كما أن العديد من رؤساء البلديات يغضون النظر على التمييز الممارس محليا وعلى عدم المساواة في الخدمات العامة. ويبين التحقيق أن 19% فقط من رؤساء البلديات يعترفون بوزن التمييز الذي يعاني منه المهاجرون في مدنهم. في حين يرى ما يزيد على 80% من رؤساء البلديات، من كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، أن جودة وسائل النقل العمومية، وصيانة الشوارع وتوفر المنتزهات مضمونة بالتساوي لجميع السكان، البيض وذوي البشرة الملونة. والحال أن الاعتراف بعدم المساواة والتمييز يمثل شرطا مسبقا لاعتماد التدابير الملموسة التي من شأنها معالجة هذه القضايا.

بالطبع، لا يرفض جميع رؤساء البلديات الاعتراف بواقع التمييز العنصري وضرورة معالجته.

ومثل ما هو الشأن بالنسبة لمسألة حصول المهاجرين على الخدمات العمومية، هناك فرق شاسع بين وجهات نظر الديمقراطيين والجمهوريين حول الاعتراف بعدم المساواة. إذ يفوق عدد الديمقراطيين الواعين بوجود تمييز ضد المهاجرين في مدنهم بنسبة 20% مقارنة بالجمهوريين. أما الذين يعتبرون أن البيض يتمتعون أكثر من غيرهم بمؤسسات القطاع العام والخدمات الاجتماعية مثل التشغيل والرعاية الصحية والقضاء العادل، فيفوق عدد الديمقراطيين بنسبة تتراوح بين 20 و50%، حسب المجال موضع الدرس، مقارنة بالجمهوريين. وإن اتخذ رؤساء البلديات المنتمون لكلا الحزبين إجراءات رمزية ضد سياسة ترامب للهجرة، إلا أن عدد الديموقراطيين أكثر بكثير من الجمهوريين عندما يتعلق الأمر بالتعبير علنا عن مساندتهم للمهاجرين غير القانونيين، والاعتراف بأن المهاجرين يذهبون ضحية التمييز المحلي، والقبول بوجود فوارق في الحصول على الخدمات العامة والاجتماعية والاقتصادية على أساس الأصل العرقي.

بالتالي، يجد المهاجرون الوافدون أنفسهم أمام مصالح عمومية عديدة ومتشعبة. وتسعى بعض السلطات المحلية (أغلبها من الحزب الديمقراطي) جاهدة لاستقبال المهاجرين والتقليص من الفوارق، بينما يبقى آخرون – بهدف الكبح أو التمييز – مكتوفي الأيدي.

كاثرين ليفين آينشتاين أستاذة مساعدة في العلوم السياسية بجامعة بوسطن، حاصلة على الدكتوراه من جامعة هارفارد، قسم الحوكمة والسياسات الاجتماعية. كما نشرت دراساتها حول السياسات المحلية، والسياسات العنصرية والعرقية، والسياسات العمومية الأمريكية في العديد من المجلات الأكاديمية.

غداء في الهواء الطلق سنة 2017 على الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك. صورة للفنان الفرنسي ج.ر.

© JR-ART-NET

آلان مابانكو،
كاتب فرنسي-كونغولي.

© Nico Therin

آلان مابانكو:

وجوه أفريقيا المتنقلة

أجرت الحوار آريان بواسونيي،
صحفية فرنسية

يتجول آلان مابانكو في «مخزن القارات الثلاث» ليتصفّح الماضي علّه يجد فيه ما ينير الحاضر. ما هي طريقة قراءة التاريخ الاستعماري؟ وأي معنى نعير لاستعادة التراث الثقافي الأفريقي؟ وما هو موقع الروائي من كل هذا؟ يتناول الكاتب الفرنسي ـ الكونغولي هذه المسائل بكل بساطة.

© Collection privée A. Mabanckou

آلان مابانكو في سن الطفولة محفوفا بأمه بولين، وأبيه روجي.

تنشر رسالة اليونسكو هذه المقابلة مساهمة منها في الاحتفال باليوم العالمي لأفريقيا (25 مايو).

تقسّم وقتك بين ثلاثة بلدان: الكونغو وفرنسا والولايات المتحدة. كيف تعيش هذا الوضع؟

لهذا الوضع مزاياه! لقد مكنتني هذه الثقافة ذات الأبعاد الثلاثة من مواجهة تنوع العالم واكتشاف ما أُسميه «وجوه أفريقيا المتنقلة». أولا، أفريقيا المتنقلة داخل القارة: لما كنت أعيش في الكونغو، التقيت أناساً من غرب أفريقيا، وأصبحت على وعي بما تحمله أفريقيا من تنوع. وعندما انتقلت إلى فرنسا، اكتشفت العالم الغربي، ولكن أيضا عدة أوجه للقارة الأفريقية التي استقرت هناك جراء الاستعمار والهجرة: تلك هي أفريقيا المتنقلة في أوروبا. وفي الولايات المتحدة، أنظر إلى القارة من خلال عدسة تتيح لي تمييز ظلال أفريقيا متنقلة أخرى، تلك التي تم نفيها عن طريق ممارسة الرق والاتجار بالعبيد. لقد تعرفت على هذا العالم الأفريقي ـ الأمريكي في نيويورك، من خلال مؤلفات ريتشارد رايت أو شيستر هايمز أو جيمس بالدوين الذين أطلقوا حركة «نهضة هارلم» في النصف الأول من القرن العشرين، وقد أحدثت الحركة ثورة في ما يسمى الفكر الأسود.

فهناك إذن عبارة عن مخزن للقارات الثلاث، أتسلّل في ثناياه لأستَنبط العناصر التي من شأنها أن تيسر فهم عالم الغد... إن عالم الغد هو مجموع ثقافات مختلفة.

يعتبر البعض أن النظام الليبرالي الجديد قد بلغ درجة من الهيمنة لحد أننا أصبحنا نفتقد للألفاظ المعبرة لانتقاده...

بصراحة، لا أؤيد هذا الرأي! لأنه قد يعني أن النظام الليبرالي الجديد قد أفسد كل أدوات النقد... أنا لست على هذه الدرجة من التشاؤم. فهناك دوماً وسائل للتصدي لنظام ما، وأحيانا نتمكن من إبراز طريقة تفكير جديدة من خلال الولوج إلى لغة هذا النظام، وتفكيكه وإثبات خوائه. إن قشرة الفستقة لن تمنعني من كسرها لأرى بل وألتهم ما بداخلها!

لنأخذ مثال الحضارات الأفريقية: لقد استعانت بالفكر الغربي لإرساء الفكر الأفريقي. لقد وُلدت حركة الزنوجية في أوروبا، في أذهان الطلبة السود والأنتيليين الذين أتوا للدراسة في المؤسسات التعليمية الفرنسية. وقد أصبح أحدهم، وهو السنغالي ليوبولد سيدار سانغور، عضوا في الأكاديمية الفرنسية.

هل يجوز لأي كان أن يشكك في الطابع الكوني لـ *دفتر العودة إلى الوطن* الذي ألّفه الأنتيلي إيمي سيزير؟ ومن في مقدوره التشكيك في قوة التحليلات التي أجراها مارتينيكي آخر، فرانز فانون، في مؤلفه *بشرة سوداء وأقنعة بيضاء*؟ لقد هاجموا من الداخل النظام الاستعماري وتداعياته، باستخدام الأدوات التي وفرها لهم هذا النظام.

بعد زيارة متحف أفريقيا في بلجيكا، كتبت في تدوينة على إنستغرام: «يحاول البلجيكيون سرد تاريخهم الاستعماري» . لماذا؟

إن المتحف، شأنه شأن أيّ فرد: من خلال اختيار ملابسه، يبعث برسالة قد تكون صادقة أو خاطئة. ولما يضع البعض شعراً مستعاراً، قد يثير فينا ذلك الشعر الجميل الإعجاب ثم خيبة أمل عميقة عندما نكتشف أنه مزيف! وبذات الطريقة، عند دخول ذلك المتحف، تراه جميلا للغاية، وفي النهاية... لم تجد فيه شيئا. ولقد بحثت عن الأذرع المبتورة في عهد ليوبولد الثاني ولكن دون جدوى.

© Finbarr O'Reilly

صحيح أن المتحف أتاح لبعض المنحدرين من أصول أفريقية فرصة سرد تاريخهم، وهي لفتة إيجابية. هذا الأمر لا ينطبق بالضرورة على الوضع في فرنسا، حيث ما أن تكلمنا عن التاريخ الاستعماري، إلا وتشبث الجميع بالاحتماء وراء جول فيري الذي أتى لنا بالأبجدية!

لو عُهدت إقامة نفس المتحف للأفارقة، لعرضوا، ابتداء من باب الدخول وصولا إلى باب الخروج، شخصا أبيض وهو يجلد شخصا أسود، ويلقي به في قاع السفينة، وينهب القارة، فضلاً عن مواقع إنشاء سكك حديدية يموت فيها الناس جرّاء العمل المرهق. وأريد أن أوضح في هذا الخصوص، أنني في هذه الحالة، لما ترددت في الكتابة على إنستغرام أن الأفارقة *«يحاولون سرد تاريخهم الاستعماري»*.

يعرض المستعمَر صورة مفجعة للاستعمار، في حين يبرز المستعمِر الجانب الحضاري المزعوم. لا بد من التأليف بين كل هذه العناصر. في الوقت الحاضر، لدينا قراءات تفتقد للموضوعية.

هل مساعي فرنسا الرامية إلى إعادة التراث الثقافي إلى البلدان الأفريقية مسألة هامة في نظرك؟

لقد أعجبني تقرير فيلوين سار وبينيديكت سافوا المتعلق بإعادة التراث الثقافي الأفريقي [الذي تم رفعه إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية في 23 نوفمبر 2018]، غير أنه يتعين انتظار ماذا سيحدث من الناحية العملية.

وتثير مسألة إعادة التراث نفس السؤال: كيف نعيد قراءة تاريخنا الاستعماري؟ ولماذا لم يتم يوماً الحديث عن هذه القطع الفنية المنهوبة في كتب التاريخ المتداولة في فرنسا وفي أوروبا؟ لقد أرتكب المستعمِر خطأً فادحاً عندما ظن أن منتجاتنا الفنية عديمة القيمة. واليوم، تشكل هذه القطع العناصر الناقصة لشرح الخيال العالمي.

يطالب الأفارقة بكل بساطة بالاعتراف بأن الخيال العالمي يشمل أيضاً تلك العناصر الثقافية الأفريقية المنهوبة، وأنه، على سبيل المثال، لم يكن للحركة السُريالية أن تبرز لولا التصاق أولئك الرسامين بالفن الأفريقي. وإذا ذهبنا إلى ما أبعد من إعادة التراث الثقافي، المسألة المطروحة هي الاعتراف بأفريقيا كقوة فنية.

هل يجد الأدب الأفريقي موقعه الحقيقي ضمن الأدب العالمي؟

إن الأدب الأفريقي المدون باللغة الفرنسية هو أدب حديث العهد إذ لم يبلغ بعد مائة سنة، وهو يحتاج إلى مزيد من الوقت لتثبيت دعائمه. المهم هو أنه استطاع أن يسلك طريق العولمة: فهو يأخذ في الاعتبار تشتت العالم، وينخرط في الحوار الموسع الذي يجري هنا وهناك حول التحديات الاجتماعية الراهنة.

هل تشعر أحياناً بأنك الناطق بلسان أفريقيا؟

لا، سيكون ذلك من قبيل الغرور. في الواقع، أعتز دوماً بتزايد عدد الأفارقة، بما فيهم الناطقين باللغة الإنجليزية، الذين يقرأون كتاباتي، ويجدون فيها ما يتلاءم مع أنفسهم ويتحمّسون لها.

وما أفعله هو فقط المعاملة بالمثل من خلال روايات تتطرق للعالم الذي يعيشون فيه. وأود ألا يعتبرني أحد بمثابة متحدث رسمي – فقد يجرني ذلك إلى دور الداعية –، بل أود أن نشعر بأننا نكتب معاً الكتب التي أقوم بتأليفها.

كان بإمكانك أن تصبح رجل قانون. في عام 1989، حصلت على منحة وتركت أسرتك المتواضعة في بوانت ـ نوار، من أجل دراسة الحقوق في فرنسا.

أراد والداي أن أكون قاضياً أو محامياً. بعد أن قبلت جامعة تسجيلي، درست القانون الخاص لمدة سنة، ثم انتقلت إلى باريس لإعداد أطروحة دكتوراه المرحلة الثالثة في القانون الاقتصادي والاجتماعي في جامعة دوفين.

لكن الولع بالكتابة تغلب على دراسة القانون. فالكتابة هي نشاط غيور لا يتحمل المنافسة. ولما توفي والداي، بدا لي أنه لم يعد هناك من يهمني أن أجعله فخورا بي...

هل قلت لنفسك يوما: «أريد أن أكتب»؟

بدأت بكتابة قصائد شعرية عندما كنت في الثانوية. بالأساس، لم أكن أريد سوى قرض الشعر. كما لم يكن لدي وعي بأن الكتابة

يمكن أن تمثل نشاطا رئيسيا. كنت أعتبرها وسيلة للتخفيف من القلق الذي ينتابني، والتحكم في شعوري بالوحدة. وأصبحت الكتابة بالنسبة لي بصفتي طفلا وحيدا، بمثابة الاعتراف، أي طريقة لرفض العالم في حالته الراهنة، وسبيلا لابتكار روايتي الخاصة عن العالم...

وربما كانت تلك نقطة بدايتي في الكتابة، ولو أنني لست قادرا على تحديد اللحظة التي أدركت فيها أنها تشكل ما يجب عليّ أن أقوم به. وواصلت الكتابة، ظانا أنني سوف أمارس عملا، ومن وقت إلى آخر، سوف أكتب... ومن فرط المثابرة على نحو منتظم، تعززت قدراتي وأصبحت مؤهلا لممارسة نشاط استحوذ علي بالكامل وأصبح نشاطي الرئيسي.

متحف الحضارات السوداء في داكار (السنغال) هو متحف حديث العهد يعرض المساهمات الثقافية للقارة الأفريقية عبر العالم. نشاهد في الصورة تمثالا بامون من الكاميرون ولوحة لفريق ني ميرغر للفن الكوبي، تحمل عنوان «ريدريسور» (2018).

قبل أن تصدر روايتك الأولى، أزرق أبيض أحمر، في عام 1998، نشرت أربعة دواوين شعرية... كيف تترابط الرواية بالشعر؟

يتناسب الشعر مع الروح الرومانسية لدى المراهقين، وهو موقع الحب الأول، ولحظة التعبير عن خيبة الأمل والولع بلامارتين، وهيغو، وفينيي أو أي شاعر رومانسي آخر. ثم إن الشعر حظي بتقدير كبير في بلادي، بفضل كبار المؤلفين الوطنيين مثل تشيكايا أو تامسي.

ولم نكتشف النوع الروائي بالمعنى الكامل إلا عند صدور *حياة ونصف* للكاتب سوني لابو تانسي، الذي أعتبره شخصيا أعظم كاتب في الكونغو. عندها، أدركنا أنه من الممكن تأليف قصة لا تروي بالضرورة آلاما شخصية. فالرواية لا تعرض مشاعر المؤلف، بل مزاج الشخصية الروائية.

يعتبر صديقك الكاتب الهاييتي داني لافيريير أن «الموهبة ذات أهمية في عملية الإبداع، ولكن الأهم هو الشجاعة». هل الجُرأة ضرورية للإبداع؟

ما لا يظهر في العمل الأدبي هو بالذات شجاعة المؤلف... فالرواية أو ديوان الشعر يمثلان الإنتاج النهائي الذي لا يعكس كل ما عاناه المؤلف من مشقات، وقلق، وظروف معيشية وتصدعات شخصية... إن غابت الشجاعة، والقدرة على المثابرة والشعور الهاجسي، لا فائدة في الموهبة!

تتطلب كتابة الأثر الأدبي صقل كل عبارة والرجوع إليها مرارا لحين أن تصبح معبرة تماما عن الأحاسيس. والشجاعة التي يتحدث عنها داني لافيريير تعني الشعور الهاجسي والقوة. فالمشروع الجمالي يستحوذ على المؤلف بالكامل، و يجره إلى تسخير كل طاقته للدفاع عنه حيز عالمه الخيالي.

هل تعني الكتابة الكشف عما في الأعماق؟

أجل! هناك أيضاً الشجاعة السياسية، والاندفاع في الإفصاح عن الذات. والكتابة ليست بالأمر السهل، بل هي طريق وعرة مليئة بالمطبات والوحل ومياه الأمطار والأحجار. ومن يفتقر إلى الشجاعة يلجأ إلى انتعال حذاء يحميه. أما الكاتب، فهو يمشي حافي القدمين ويصل إلى نهاية الطريق، حتى ولو أدمت جراحه. لقد أنجز مشروعه المكنون، وولد قوة العالم التي كان يحملها، وها أنه نجح في ذلك!

ولد **آلان مابانكو** عام 1966 في بوانت ـ نوار، عاصمة كونغو الاقتصادية. أصبح شخصية بارزة في العالم الأدبي باللغة الفرنسية وشغل منصب أستاذ الأدب في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، وكرسي الإبداع الفني في *كوليج دي فرانس* (معهد فرنسا) في عامي 2015 و2016. وقد نال العديد من الجوائز عبر العالم، وتُرجمت أعماله إلى نحو ثلاثين لغة. وفي عام 2018، صدرت في فرنسا روايته الثانية عشرة *طيور اللقلق خالدة*.

© Selçuk Demirel

افتح كتاباً، تفتح أذهاناً

بقلم غالية خوجة

مع حلول شهر أبريل 2019، تصبح مدينة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة) عاصمة عالمية للكتاب 2019. فعاليات متنوعة تدعو الجمهور إلى عبور جسر المعرفة لاكتشاف تنوع الثقافات والشعوب.

تنشر رسالة اليونسكو هذا المقال مساهمة منها في الاحتفال باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف، في 23 أبريل.

«*خير جليس في الزمان كتاب*». قالها الشاعر العربي العظيم أبو الطيب المتنبي منذ القرن العاشر، وظل يردّدها محبو الأدب والشعر والمعرفة إلى يومنا هذا، رغم تقلص الفضاء المخصص للكتاب بفعل اجتياح شبكات التواصل الاجتماعي والوسائل السمعية البصرية لمحيطنا.

إن الكتاب وسيلة متميزة لتعزيز قيم التسامح والتعايش والسلام، والدفاع عن حرية التعبير ومكافحة التطرف والفكر الظلامي. تلك هي القواسم المشتركة بين كل الفعاليات التي تنطلق يوم 23 أبريل 2019 الذي يوافق اليوم العالمي للكتاب ولحقوق المؤلف، لتتواصل طيلة السنة، في إطار تعيين الشارقة عاصمة عالمية للكتاب 2019، وتكون بذلك الشارقة أول مدينة خليجية وثالث مدينة عربية تحظى بهذا التتويج.

لقد تم إنشاء أول مدرسة وأوّل مكتبة في الإمارات بمدينة الشارقة. كما أن معرض الشارقة الدولي للكتاب الذي انطلق سنة 1982 تحت شعار «*إقرأ... أنت في الشارقة!*»، أصبح يمثل ثالث أكبر معرض للكتاب في العالم. و قد استقبل المعرض في دورته السابعة والثلاثين عام 2018 ما لا يقل عن 2،7 مليون زائرا، و 1874 عارضا من 77 دولة مشاركة، وبلغ عدد العناوين 1،60 مليون وشمل البرنامج 1800 فعالية مختلفة.

لقد أحرز الكتاب على مكانة مرموقة في سياسة إمارة الشارقة الثقافية، ووفقا لهذه السياسة الشاملة، تم إطلاق العديد من المشاريع، نذكر منها «مكتبة لكل بيت»، و«المكتبة المتنقلة»، وعدة جوائز ثقافية منها وطنية ومنها إقليمية أو دولية، مثل جائزة اليونسكو ـ الشارقة للثقافة العربية، وجائزة الشارقة للشعر العربي، وجائزة الشارقة للترجمة (ترجمان)، وجائزة الشارقة للكتاب الإماراتي، وغيرها.

© Sharjah International Book Fair

المعرض الدولي للكتاب للشارقة سنة 2018.

ومن المشاريع المنجزة «مدينة الشارقة للنشر» التي تعكس تجربة فريدة في عالم صناعة الكتاب، إذ أنها تجمع كل مراحل هذه الصناعة في مكان واحد يقع في المنطقة الحرة، على مساحة 19.000 متر مربع. ويقدم الموقع خدمات متنوعة وبنية تحتية متطورة تغطي كامل سلسلة النشر – كتابة، وتصميم، وطباعة وتوزيع – لمختلف الميزانيات. وهو ما يشكّل دعماً مباشراً للكتاب.

كما تقوم جمعية الناشرين الإماراتيين بدور محوري في النهوض بالكتاب والترويج لحب المطالعة لدى كل الفئات الاجتماعية والعمرية، وهي جمعية تحظى باعتراف نظيراتها كما يدل على ذلك انتخاب رئيسة الجمعية الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي نائبة لرئيس الاتحاد الدولي للناشرين عام 2018.

وعند تسلمها رئاسة مكتب الشارقة عاصمة عالمية للكتاب، صرحت الشيخة بدور أن «*الكتاب سبيل المجتمع للارتقاء والنهوض والحوار، وجسر عبور لمختلف دول العالم*».

وبفضل تآزر جهود عدة شركاء لا يقل عددهم عن العشرين مؤسسة من الجهات الرسمية العمومية والمدنية والخاصة، قام المكتب بصياغة برنامج متماسك تنطلق فعالياته في شهر أبريل 2019 ليتواصل على مدار العام داخل الإمارات وخارجها، تحت شعار «افتح كتاباً تفتح أذهاناً».

ويهدف البرنامج إلى تطوير ودعم النشر في الإمارات والوطن العربي، وتسهيل وصول الكتاب إلى جميع فئات المجتمع، لا سيما الأطفال واليافعين، وتوفير فرص اكتشاف المؤلفين الواعدين، واكتساب المزيد من القراء ورقياً والكترونياً، والتركيز على الترجمة.

كما أن البرنامج مفتوح لكل الأنواع الأدبية – من شعر ونثر وقصص ورواية – والمؤلفات العلمية والكتب الاجتماعية، والكتب الموجهة للأطفال واليافعين بما فيها الكتب المصورة (كوميكس) وغيرها.

وفي ختام الفعاليات، ستسلّم الشارقة الشعلة لمدينة كوالالمبور الماليزية التي عينتها اليونسكو عاصمة عالمية للكتاب عام 2020.

غالية خوجة (سوريا) مؤلفة وناقدة أدبية، صدر لها 25 كتابا من شعر، ورواية ونقد. مقيمة في الإمارات العربية المتحدة منذ 2004 حيث تعمل كصحفية في جريدة *الاتحاد* اليومية.

الذكاء الاصطناعي

على أبواب أفريقيا

تشيليدزي ماروالا يجيب على أسئلة إيدوين نايدو (صحفي جنوب أفريقي)

يجب على القادة الأفارقة أن يستوعبوا الثورة الصناعية الرابعة للذود بالقارة عن دائرة الفقر ودفْعها نحو مستقبل أفضل. هذا ما يؤكده الخبير في مجال الذكاء الاصطناعي الجنوب أفريقي، تشيليدزي ماروالا.

ننشر هذه المقابلة بمناسبة اليوم العالمي لأفريقيا الذي تحييه اليونسكو في 25 مايو.

منذ عام 1990، تمكنت الحكومة الصينية من إخراج 800 مليون نسمة من دائرة الفقر، بفضل الاستثمار الاقتصادي. هل تعتقد أن حكومة جنوب أفريقيا قادرة على تحقيق نتيجة مماثلة، ولو لصالح عدد أقل، من خلال الاستثمار في الصناعة 4.0*؟

تُعتبر الصين عموما آخر بلد في العالم قادر على تحقيق الأرباح بفضل يد عاملة رخيصة، ومن ثم على الذود بمواطنيها عن الفقر. وربما يفضي استخدام الروبوتات إلى التخفيض في تكلفة عملية التصنيع مقارنة بالماضي. لذلك أخشى أن يسفر استخدام الآلة كليا في عملية الإنتاج، مثلما هو مرتقب في الثورة الصناعية الرابعة، عن اعتبار تكلفة اليد العاملة عائقا من وجهة نظر أرباب العمل.

من المتيقن أن الثورة الصناعية الرابعة سوف تحدث تحولات في عالم الشغل، حيث أن الآلات الذكية سوف تقوم بتنفيذ الأشغال التي يتولاها الإنسان عادةً. والدليل على ذلك أن عالم الشغل يشهد بالفعل نوعا من الانكماش، نظرا لانخفاض عدد العمال في المصانع.

ومن المنتظر أن تتسع، إلى حد كبير، فجوة التفاوت. سوف يتمكن الذين تتوفر لديهم رؤوس الأموال الضرورية للحصول على الروبوتات الصناعية من الترفيع في الإنتاج مع التخفيض في الموارد المستخدمة، وبالتالي سوف يحصلون على ثروات طائلة، بينما يكون مآل غيرهم التهميش.

ولم يعد لجنوب أفريقيا والقارة الأفريقية في مجملها من خيار سوى الإلتحاق بالثورة الصناعية الرابعة واستخدامها من أجل إيجاد الحلول للمشاكل العديدة التي تعترضها.

هل تستثمر جميع الحكومات الأفريقية في الثورة الصناعية الرابعة؟

لا أعتقد ذلك، رغم وجود بعض المواقع المتميزة في الموزامبيق، والكونغو، وكينيا، ورواندا وإلى حد ما في جنوب أفريقيا. إن التجنيد لمسألة مثل الثورة الصناعية الرابعة في قارة تضم 54 بلداً أمر أكثر تعقيدا من بلد واحد، حتى ولو كان هذا البلد شاسعا مثل الصين. كما أن مراحل التنمية المتفاوتة التي تمر بها هذه البلدان تجعل الأمر أكثر تعقيداً.

في رأيي، الثورة الصناعية الرابعة أمر يتعلق بالبيانات، سواء كانت بيانات شخصية أو جينية أو تلك التي تولدها الثورة الصناعية الرابعة ذاتها. والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه هو: هل تقوم البلدان الأفريقية بجمع البيانات؟ أخشى أنها لا تقوم بذلك. فإن الأطراف التي تجمع أكبر قدر من البيانات في أفريقيا هي المؤسسات المتعددة الجنسيات التابعة للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ما يتعلق بجمع البيانات وإدارتها، لم تبلغ أفريقيا إلا الدرجة الثالثة على مقياس من واحد إلى عشرة.

من أهم مشاكل الثورة الصناعية الرابعة أن الفائز يستحوذ على كل شيء. كان لدينا في جنوب أفريقيا محرك بحث يُسمى أنانسي يقوم بجمع البيانات المحلية على نحو فعال، لكن غوغل كان الأقوى، فاختفى أنانسي. لا يقدر إلا القليل منا على الإجابة عن هذا السؤال: «ما هو محرك البحث الذي يتبوأ المرتبة الثانية على الصعيد العالمي؟». والإجابة هي: «محرك بينغ التابع لمايكروسوفت». إلا أنه هو الآخر ليس في حالة جيدة. في هذا المجال، لا يمكن احتلال المرتبة الثانية. إن غياب غوغل في الصين يعطي ميزة كبرى للشركات الصينية.

غير أن عمالقة شبكة الويب لا يهتمون كثيراً بالإشكاليات المحلية. غوغل مابس (خرائط غوغل) مثلا لا تنطق أسماء الطرق في بلادنا بصورة سليمة. ولو قمنا بإنتاج خرائطنا الوطنية بنُطق صحيح للأسماء، لتوفّرت لدينا ميزة على غوغل. أمام المنافسة، يتمثل الحل في مواجهة التحديات على الصعيد المحلي.

هل الطريق ما زالت طويلة أمام البلدان الأفريقية حتى تصبح منتجة لتكنولوجيا الثورة الصناعية الرابعة؟

بصراحة، نحن ننتج بالفعل الكثير من التكنولوجيات. لقد ذاع صيت إيلون موسك وسيارته «تسلا»، ولكن جنوب أفريقيا لديها «جول» [سيارة كهربائية ذات خمسة مقاعد]، التي توقف إنتاجها لأنه لم يبلغ المليون وحدة حتى يصبح المشروع قابلاً للاستمرار. ونحن نقوم بتسجيل العديد من براءات الاختراع، غير أن أسواقنا محدودة جدا، فتبقى منتجاتنا تحتضر في المختبرات. إن تطوير التكنولوجيات لا يكفي: علينا أيضاً خلق الأسواق ووضع استراتيجية ناجعة للتصدير.

* يرتكز تطور الثورة الصناعية الرابعة، المسماة أيضاً الصناعة 4.0، على التكنولوجيات الرقمية التي حققتها الثورة الصناعية الثالثة (أو الثورة الرقمية). وهي تجمع بين التكنولوجيات الناشئة، مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتية، وإنترنت الأشياء، والواقع المعزز، والإعلامية الكمية، والطباعة البيولوجية ثلاثية الأبعاد للأنسجة العضوية، وقواعد البيانات المتسلسلة، والتصنيع الجمعي، وتكنولوجيات الأعصاب، والهندسة الجيولوجية، وتصويب تسلسل الجينوم وغيرها من الابتكارات الرقمية والبيولوجية والفيزيائية.

هل يجب تدعيم دور الشركات في الثورة الصناعية الرابعة، من خلال الشراكة بين القطاعين العام والخاص؟

بالتأكيد. للشركات دور في غاية الأهمية. وقد لاحظت ـ وهذه وجهة نظر مثيرة للجدل ـ نزعة لعدم اعتبار أفريقيا موقعا للإنتاج. على سبيل المثال، لا يوجد مصنع لشركة آبل في أفريقيا. من الأيسر بكثير إقامة شراكات مع المؤسسات التي تصنع منتجاتها في نفس البلدان التي تمارس نشاطها فيها، مقارنة بالشركات التي تكتفي بتوريد منتجات مصنوعة في بلدان أخرى.

وإذا تساءلنا حول الآليات التي يجب علينا تطويرها لحث المؤسسات متعددة الجنسيات على اختيار أفريقيا كموقع للإنتاج، لوجدنا في صناعة السيارات في جنوب أفريقيا مثالا يحتدى به: تحث الحكومة المصنعين على الإنتاج محلياً من خلال الدعم المالي.

في الوقت الراهن، لا توجد سياسة مماثلة لصالح الشركات المنخرطة في مجال الثورة الصناعية الرابعة. وهذا ما يتعين علينا القيام به حتى نتقدم. من الأفكار الجيدة، أذكر إنشاء مناطق اقتصادية مخصصة للثورة الصناعية الرابعة، توفر فيها الدولة حوافز ضريبية للشركات قصد تعزيز الإنتاج، وخلق فرص التشغيل فضلاً عن دفع النمو الاقتصادي.

ولا ينبغي أن تقتصر هذه التدابير التحفيزية على الشركات الأجنبية بل يجب أن تستفيد منها بالمثل الشركات المحلية.

هذا يعني أن للقادة السياسيين دور أساسي...

على القادة الأفارقة أن يستوعبوا لغة التكنولوجيات الجديدة. وإلا لن تتمكن أفريقيا من الانخراط في الثورة الصناعية الرابعة. في رواندا، يدل توفر الإنترنت ذات النطاق العريض على أن الرئيس كاغامي قد استوعب هذه اللغة.

وفي كينيا فإن عدد الشركات الناشئة وإطلاق عُملة رقمية يدلان على أن الرئيس كينياتا قد استوعب هو الآخر تلك اللغة.

وفي جنوب أفريقيا، كان الرئيس رامافوسا أول مسؤول قيادي يضع الثورة الصناعية الرابعة في صدارة استراتيجيته، كما أنه يدافع بكل حزم عن العلم والتكنولوجيا. وفي خطابه إلى الأمة الذي ألقاه في فبراير 2018، تناول موضوع الثورة الصناعية الرقمية وتعهد بإقامة لجنة من الخبراء المختصين في الثورة الصناعية الرابعة، لتكليفها بوضع استراتيجية في هذا المجال.

إن بلادنا في حاجة إلى استراتيجية وطنية تماثل الاستراتيجية الوطنية الخاصة بالذكاء الاصطناعي في الهند أو المخطط الاستراتيجي الصناعي «صُنع في الصين 2025»، حتى تتحول إلى عملاق «تكنولوجي راق» في مجال الابتكار. وإذا سارت الأمور على ما يرام، ستقوم اللجنة التي سوف ينشئها الرئيس رامافوسا بإعداد استراتيجية تحشد القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل وضع الاقتصاد على المسار الصحيح.

يبلغ عدد سكان أفريقيا في الوقت الراهن 1،3 مليار نسمة. وهي القارة التي تسجل أسرع نمو لعدد السكان في العالم. ولن نتمكن من إيجاد حلول لمشاكل الانفجار الديمغرافي، والأمن الغذائي والتوسع الحضري دون استخدام تكنولوجيات الثورة الصناعية الرابعة. لا بد أن يستوعب قادتنا أساليب هذه التكنولوجيات: ويتعيّن عليهم اكتساب رؤية ابتكارية للمستقبل. وهذا يعني أننا، إذا أردنا التقدم، يجب علينا، قبل كل شيء، وجود قادة جدد مؤهلون بهذه القدرات.

© UNESCO / Olivier Marie

تشيليدزي ماروالا، خبير جنوب أفريقي بارز في مجال الذكاء الاصطناعي، يشغل منصب نائب رئيس جامعة جوهانسبرغ. وقد نُشرت أعماله في مجال الذكاء الاصطناعي في العالم أجمع ونال بفضلها العديد من الجوائز الوطنية والدولية.

المعجزة الرواندية

بقلم ألفونس نكوسي

بعد مُضيّ نحو ربع قرن على الإبادة الجماعية الرهيبة لعام 1994، طَوَت رواندا صفحة جديدة من تاريخها. وبعد جهود طويلة لتوحيد البلاد والمصالحة الوطنية، سلكت رواندا طريق الاستثمار في النمو الاقتصادي مركزة على التكنولوجيات الجديدة، على أمل أن تصبح مركزًا لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أفريقيا.

تنشر *رسالة اليونسكو* هذا المقال مساهمة منها في إحياء اليوم العالمي للتفكير في الإبادة الجماعية لعام 1994 ضد التوتسي في رواندا، في 7 أبريل.

مُنذ خمسة وعشرين عامًا، سجلت رواندا الفصل الأكثر دموية في تاريخ أفريقيا المعاصر. خلال مائة يوم فقط، زُهقت أرواح مليون شخص، مخلفين وراءهم الملايين من الأيتام، بالإضافة للأرامل من رجال ونساء.

كنت أعيش في أوغندا حين جرت أحداث هذه المأساة في بلدي. فقد استقبلتني بلاد الجوار الشمالية، كلاجئ في عام 1962، عندما كنت شابًا في سن السابعة عشر. فدرست في جامعة ماكيريري، وكوّنت عائلتي وعشت هناك حتى عام 2008. لكن مُنذ عام 1994، قَسّمتُ وقتي بين أوغندا ورواندا، لرعاية أيتام عائلتي والمساهمة في إعادة بناء وطني.

كان لا بد من إعادة بناء كل شيء في هذا البلد الجريح. وكان الشاغل الأول للجبهة الوطنية الرواندية – الحزب السياسي الذي كان يقوده في ذلك الوقت الرئيس الرواندي الحالي بول كاغامي – هو وضع حد للإبادة الجماعية واستعادة السلام والأمن. *«لقد تعلمنا دروسًا لا بد أن نستعين بها في بناء مستقبلنا»*، هذا ما صرح به الرئيس الرواندي مؤخرًا أمام مجموعة من رؤساء الشركات في مدينة شارلوت، بالولايات المتحدة الأمريكية.

من أجل بناء المستقبل، كان علينا التعلم من جديد على تصريف فعل *«كان»* في صيغة الجمع، والإقتناع بأننا جميعًا بانيارواندا. كان علينا أن ننسى من هو توتسي، ومن هو هوتو، ومن هو توا. كان علينا التغلب على الكراهية.

اللجوء إلى تقاليد التسامح

تم إعطاء الأولوّية لتحقيق الوحدة والمصالحة. ولبلوغ هذه الغاية، وقع إحياء نظام العدالة التقليدي الذي يُدعى *«جاكاكا»*، ممّا سمح للمجتمع بمحاكمة الجناة وقبول طلب الغفران. وتمكن الناجون، من خلال هذه المحاكم التقليدية، من معرفة المزيد عن مصير أقربائهم، ولكن أيضا، عن المجرمين الذين باحوا بجرائمهم واعترفوا بذنوبهم. وقد صدرت أحكام مختلفة حسب مدى خطورة الجرائم المرتكبة. فحُكم على البعض بخدمة الصالح العام، والبعض الآخر بالسجن. وفي غضون عشر سنوات، كانت محاكم *«جاكاكا»* قد نظرت في 1،9 مليون قضيّة، ثم تم إغلاقها رسمياً في مايو 2012.

كما تم إصلاح المؤسسات القضائية العمومية لمحاكمة أخطر القضايا. فعلى الصعيد الدولي، أَقَرّت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا، التي أنشئت في 8 نوفمبر 1994، بأن *«الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب قد ارتُكبت على نطاق مُروّع»*، وبلغت *«نسبة القتل أربعة أضعاف ما حصل في ذروة المحرقة النازية»*. وإلى هذا الحين، وجهت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا الاتهام إلى 93 فرد ممن اعتبروا من مخططي ومرتكبي الإبادة الجماعية، وصدر الحكم في ثمانين منهم، وأنهى 23 من الذين تمت إدانتهم مدة العقوبة.

في أعقاب الإبادة الجماعية، تم استخدام طريقة تقليدية أخرى لتمكين المواطنين من المشاركة في الشؤون العامة، تتمثل في نظام إدارة محلي يلتزم فيه الأفراد بأداء عدد من المهام على مدار عام، ويتم بعد نهاية الفترة تقييم نتائجهم من قبل المجموعة. في السابق، كانت هذه الإلتزامات التي تسمى *«إيميهيغو»* شفهية، وتتم المصادقة عليها من خلال إقامة حفل. أما اليوم، فأصبحت عقودا مكتوبة يتم التوقيع عليها. لكن وظيفتها بقيت كما هي.

لقد ساهمت هذه الطريقة بشكل كبير في تحسين الخدمات العامة في رواندا الحالية التي اختارت نظام الديمقراطية بالتراضي وتقاسم السلطة.

الأولويات

مع معدل نمو متوسط يفوق 7% سنويا منذ عام 2000، أصبحت رواندا إحدى البلدان الأفريقية الرائدة في النمو الاقتصادي. ووفقا للأرقام الرسمية، فإن استثماراتها في الزراعة والطاقة والبُنيَة التَحتيّة والتعدين والسياحة حَرّرت أكثر من مليون شخص من براثن الفقر.

ورافقت هذا التطور تقوية اندماج رواندا في الهياكل الاقتصادية الإقليمية وكذلك مشاركتها في المجتمع الدولي. وقد أصبحت رواندا رابع أكبر مساهم في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، إذ تعد القوة الرواندية المشاركة في هذه العمليات 6550 عنصرا.

لكن البلاد تريد الاستثمار أولاً وقبل كل شيء في مواطنيها لتحقيق تنمية شاملة للجميع. لذلك، تم وضع النساء في طليعة الحياة العامة. لقد دفعن ثمناً باهظاً خلال الربيع الأسود في رواندا: ما بين 100.000 و250.000 امرأة ذهبن ضحية للاغتصاب والاعتداء الجنسي. وقد اعترفت المحكمة الجنائية الدولية لرواندا بأن أسلحة الحرب المروعة هذه، تمثل جرائم إبادة جماعية. منذ ذلك الحين، سجلت وفاة الكثير من النساء بسبب مرض الإيدز الذي أصابهن أثناء الإعتداء عليهن.

لضمان حماية النساء، تم في عام 2008 اعتماد قانون للوقاية من العنف القائم على نوع الجنس والمعاقبة عليه. وتضمن قوانين أخرى مشاركتهن الكاملة في الحياة السياسية والاجتماعية: فقد تم تخصيص 30% على الأقل من المناصب الرسمية للنساء في جميع هيئات الدولة وعلى جميع المستويات. وأدت هذه الإستراتيجية الى التسريع في سد الفجوة بين الرجال والنساء. وفي يومنا هذا، بلغت نسبة النساء من البرلمانيين 62%، و50% من أعضاء الحكومة و44% في مهن القضاء.

كما تم إيلاء الأولوية لقطاعي التعليم والصحة، حيث يخصص لهما إجمالا 30% من الميزانية الوطنية السنوية. وبلغت نسبة الالتحاق بمدارس التعليم الإلزامي الذي يدوم اثني عشر عاماً 90%، وتغطية التأمين الصحي 87%.

وتحسنت خدمات الرعاية الصحية بشكل كبير في المناطق النائية منذ وصول الطائرات بدون طيار من نوع زيبلاين، التي حققت، وفقًا لما ذكره الرئيس التنفيذي للشركة الأمريكية الناشئة، أكثر من 4000 عملية تسليم للدم والأدوية بين أكتوبر 2016 وأبريل 2018.

التعليم أيضا يتطور، ببطء ولكن بثبات، بفضل استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة، وخاصة منذ إطلاق مبادرة «كمبيوتر محمول *لكل طفل*» في يونيو 2008. فقد تم توزيع أكثر من 600.000 جهاز كمبيوتر محمول وتعهد التلاميذ بتقاسم استخدامها. إلا أن المشروع واجه صعوبات عسيرة، لا سيما نتيجة نقص التغطية الكهربائية في المناطق الريفية لشحن بطاريات الأجهزة، ناهيك عن الموارد المالية الهائلة الضرورية لتوفيرها لأكثر من 2،3 مليون تلميذ. ومع ذلك، فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تتطور بأقصى سرعة: لقد جرى بالفعل مد 4000 كيلومتر من كابلات الألياف الضوئية في كافة البلاد التي تبلغ مساحتها 26.000 كيلومتر مربع ونيف. وفي هذا العام، من المتوقع أن تغطي كل من شبكة الإنترنت اللاسلكية والألياف البصرية، نحو 95% من مساحة البلاد.

يتمتع معظم السكان بالفعل بإمكانية استخدام الهواتف المحمولة. ومن مجمل عدد السكان الذي يقارب 13 مليون نسمة، يمكن لأكثر من 4 ملايين مواطن التسوق ودفع الفواتير والضرائب وحتى غرامات الشرطة، باستخدام تطبيقات الهاتف المحمول. والأمر كذلك بالنسبة للإجراءات الإدارية. ويكفي الاتصال بموقع إيريمبو (الكلمة تعني «الوصول إلى» بلغة كينيارواندا) للحصول على معظم الخدمات الحكومية عبر الإنترنت.

التطلع نحو المستقبل

تراهن رواندا على تطوير التكنولوجيا لضمان مستقبل أفضل. وقد تم تسهيل المعاملات المصرفية من خلال خدمات الهاتف المحمول. كما تمكن رجال الأعمال من ممارسة التجارة الإلكترونية بواسطة المنصة الإلكترونية للتجارة العالمية التي أطلقتها عام 2018 شركة علي بابا، عملاق التجارة الإلكترونية الصيني.

© Marie Moroni

«عين من السماء»، تطريز من مجموعة إيبابا، من ابتكار الفنانة الفرنسية سيليست موغادور، تم إنجازه في ورشة التطريز إيبابا رواندا، حيث عادت النساء للعمل من جديد بعد انقطاع دام 19 سنة.

كما يجري تيسير التنقل داخل المدن بإتاحة توجيه طلب خدمات السيارات والدراجات النارية عبر تطبيقات الهاتف المحمول.

من بين هذه الخدمات، تطبيقة «*سايف موتو*» الملقبة بـ«*يوبر تاكسي الدراجات النارية*» التي تم تصميمها في مركز الابتكار التكنولوجي «*ك.لاب*» الذي يعتبر الأكثر حيوية في البلاد. ومنذ عام 2012، وفر هذا المركز التدريب لآلاف الشباب مجانًا، مساهما بذلك في بعث ستين شركة، أربعة منها أصبحت رائدة في مجال نشاطها، واثنتان منها حققت توسعا على الصعيد الدولي. وهو أحد مراكز الابتكار العديدة التي تم تطويرها، لا سيما في العاصمة كيغالي، بهدف توفير فرص مهنية جديدة للشباب الروانديين.

وفي إطار أفريقيا 50، منصة تطوير البنى التحتية التابعة لبنك التنمية الأفريقي، سوف تشيّد مدينة الابتكار في رواندا.

ومن المنتظر أن يساهم هذا المشروع أيضا في ضمان مستقبل تكنولوجي واعد لرواندا التي أصبحت الآن في وضع جيد لتصبح منصة إقليمية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، خاصة وأنه، مع مطلع شهر سبتمبر 2018، تم إدراج مادة الذكاء الاصطناعي رسميًا في المناهج الجامعية، وذلك بفضل بعث ماجستير متخصص، بمبادرة من الخبير السنغالي مصطفى سيسي، رئيس مركز أبحاث غوغل في مجال الذكاء الاصطناعي في غانا، ومن المعهد الأفريقي للعلوم الرياضية في كيغالي.

بعد مرور ربع قرن على الإبادة الجماعية ضد التوتسي في رواندا، ها أن تلك البلاد التي عانت من الإنقسام والتدمير والنهب، والتي كانت تحتاج إلى إعادة الإعمار والتأهيل، تتطلع اليوم بكل حزم إلى المستقبل وتستعد لما يمكن أن يوصف ذات يوم بالمعجزة الرواندية.

ألفونس نكوسي (رواندا) كان محللاً إعلامياً رفيع المستوى في مجلس حوكمة رواندا، ومحرر في صحيفة *نيو فيجن*، إحدى الصحف الرائدة في أوغندا، ومكلّف *بالتدريس* في مادة التواصل الاجتماعي في جامعة ماكيريري بأوغندا.

غران باخاتان،
قلعتنا الجغرافية

رلدان روخاس باريداس
يجيب على أسئلة ويليام نافاريت

في منطقة تدهورت بسبب الإنتاج المكثف للمطاط في القرن التاسع عشر، وعاثت فيها عصابات المخدرات وفرق المقاومة حتى أصبحت منطقة خارجة عن القانون مُخصّصة لزراعة الكوكا والعبور الهين للكوكايين في الثمانينات، يعيش اليوم آلاف الأشخاص من فلاحة غابيّة تمزج بين غراسة الأشجار وزراعة الكاكاو. في هذه المنطقة بالذات الواقعة في الكورديليرا الوسطى بالبيرو، تم سنة 2016 إنشاء محمية للمحيط الحيوي تابعة لليونسكو: غران باخاتان. ويقف وراء هذا المشروع، منذ البداية، رلدان روخاس باريداس.

تنشر رسالة اليونسكو هذا المقال مساهمة منها في إحياء اليوم الدولي للتنوع البيولوجي (22 مايو).

تربية السمك في قرية سانتا روزا (البيرو).
© PUR Projet / Christian Lamontagne

هل لك أن تعرض مواصفات محمية المحيط الحيوي غران باخاتان لمن لا يعرفها؟

هو فضاء خارق للعادة، يتّسم بتنوّع طبيعي وثقافي مُبهر، لأنه يضمّ وسطين مُختلفين تماما: الأنديز والأمازون. وتأوي المحمية، على مساحة تُقدّر بحوالي 2،5 مليون هكتار، 5000 من الأنواع النباتية و900 من الأجناس الحيوانية، منها حوالي ثلاثين جنسا لا تتواجد إلا في ذلك المكان. كما تشمل المنتزه الوطني ريو أبيسايو المُسجّل سنة 1990 في قائمة اليونسكو للتراث العالمي للإنسانية، والذي يزخر بالآثار. ومنذ منتصف الثمانينات، تمّ العثور، على ارتفاع يتراوح بين 2500 و4000 متر، على ستة وثلاثين موقع يعود تاريخها إلى العصر قبل الكولومبي.

كل ذلك يُمثّل بالنسبة لنا، نحن أصيلي المنطقة، تراثا خصوصيّا تعود لنا مسؤولية المحافظة عليه، كما يجبرنا على التفكير في المستقبل على المدى البعيد.

أعتبر هذه المحمية قلعة جغرافية تمنحنا ظروفا مثالية لتحقيق حياة أفضل وتعطي فرصا جيّدة للأجيال القادمة.

أنا شخصيّا، كنت دائما مُولعا بممارسة الفلاحة، ومتعلّقا بغاباتنا الأصلية واخضرارها البديع، وكنت دائما مُفعما بالطاقة التي تنبثق منها. حياتي مُرتبطة ارتباطا وثيقا بالثراء الثقافي، والأساطير، والخيال، والموسيقى وفنون الطبخ في المنطقة. لما غادرتها للدراسة في العاصمة ليما، كنت مُقرّا العزم على العودة لتوظيف طاقتي في سبيل إحياء هذا التراث الرائع. وهذا ما قمت به فعلا.

بالنسبة لسكان المنطقة وعددهم 170.000، ماذا يمثل تعيين غران باخاتان محمية للمحيط الحيوي لليونسكو؟

لقد عانى السكان المحليّون الكثير في الماضي من عصابات المطاط والمخدرات، وحروب فرق المقاومة. ولكن، اعتبارا من سنة 2000، شهدت زراعة الكاكاو انتعاشة سمحت لآلاف الأشخاص بالتخلّص من الفقر ومن التهميش.

وبمرور الزمن، طوّرنا الفلاحة الغابيّة المختلطة التي تتلاءم جيّدا مع زراعة الكاكاو، لأن نبتة الكاكاو تنتعش بظل الأشجار.

تسجيل منطقتنا في شبكة محميات المحيط الحيوي لليونسكو سنة 2016 أعطانا دفعا هائلا، إذ رأينا فيه اعترافا بالمجهودات التي بذلناها لنجعل من منطقتنا أول مُنتج للكاكاو البيولوجي في البيرو.

لقد فتح هذا الاعتراف على الصعيد الدولي آفاقا جديدة لمؤسسة أمازونيا فيفا (فونداڤي) التي تسعى للمحافظة على النظام البيئي لغران باخاتان. وها أن المؤسسات التي كانت لا تثق بنا وتدير لنا ظهرها، قد أصبحت الآن مهتمّة بنا. وعلى سبيل المثال، تموّل شركة المعادن بوديروزا البحث في مجال الآثار (وقد أصدرت حديثا دليلا ممتازا)، وفي المجال الفلاحي (أطلقت دراسة حول البطاطا)، كما تُوفّر لنا أدوات بيداغوجية للتعليم الابتدائي.

كما نتلقى عروضا من مستثمرين جدد من الخارج، مثل العلامة الفرنسية شانيل التي أبرمت اتفاقية تعاون مع مشروعنا راد + بيوكولوار مارتن سغرادو.

فيمَ يتمثّل هذا المشروع؟

يهدف هذا المشروع إلى المحافظة على 300.000 هكتار من الغابة الأصلية التي تُديرها المجموعات المحلّية في منطقة ألتو هوايابمبا المتاخمة للحديقة الوطنية أبيسايو، وإلى تنميتها. يحظى المشروع، الذي بُعث سنة 2010 لمدّة ثمانين سنة، بدعم من المؤسسة الاجتماعية الفرنسية بور بروجي (المشروع السليم) التي تدعم كذلك، على نفس المنوال، مشروع خوبيلاسيون سيغورا (تقاعد مضمون) لمدة أربعين سنة، ويتمثّل المشروع في وضع نماذج للفلاحة الغابية قصد خلق اقتصاد ريفي مُستدام، بالإضافة إلى خطّة لإعادة التشجير والحصول على الكربون للرفع في جودة الأراضي، وإخراج الفلاحين الذين لا يتمتّعون بالتقاعد من دائرة الفقر.

ما هي المراحل المقبلة التي خططت لها مؤسسة فونداني؟

لقد شرعنا في تبادل التجارب بين مختلف الأقسام صلب محميّتنا للمحيط الحيوي، مثل إنشاء حدائق نباتية أو بعث برامج لتربية النحل. كما أننا ننوي ربط علاقات مع محميات أخرى للمحيط الحيوي، في البيرو أو في بلدان أخرى من العالم.

لا يهمّنا التنافس. غايتنا الربط بين الاستراتيجيات والتعريف بالأنشطة التي نقوم بها وتحسينها، كما نريد أن نصبح مصدر إلهام للجميع، من حيث الامتياز في العمل والتعليم.

وسوف نبذل كل جهدنا لتشريك الجامعات، والمؤسسات، والمجتمع المدني، والدولة، والتعاون الدولي أكثر فأكثر، حتى نستفيد من هذا العنوان الرائع الذي نتميز به كمحمية للمحيط الحيوي، وحتى يشعر المنتج المنهمك باستمرار في رعاية قطعة أرضه، بأنه متصل بالعالم أجمع.

> *نريد أن نصبح مصدر إلهام للجميع، من حيث الامتياز في العمل والتعليم*

رلدان روخاس باريداس أصيل تارابوتو التي تبعد 136 كلم على خوانخوي، عاصمة إقليم ماريسكال كاسيراس في الشمال الغربي لبيرو. وهو المبادر الأساسي لإنشاء محمية المحيط الحيوي غران باخاتان. كما كان عضوا في أول هيئة لتسيير المنتزه الوطني ريو أبيسايو سنة 2001، ويشغل الآن مهمة مدير تنفيذي لمؤسسة أمازونيا فيفا (فونداني) التي تسعى للمحافظة على النظام البيئي للمحميّة.

يقوم جويل دياز بزرع شجرة، في إطار مشروع بور بروجي لإعادة إحياء الغابات في محمية المحيط الحيوي غران باخاتان (البيرو).

© PUR Projet / Christian Lamontagne

منشورات اليونسكو

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

www.unesco.org/publishing
publishing.promotion@unesco.org

تقرير الأمم المتحدة العالمي عن تنمية الموارد المائية لعام 2018

حلول مُستمدّة من الطبيعة لمعالجة قضايا المياه

ISBN 978-92-3-600076-3

139 صفحة، 210×297 مم

متوفر على الرابط:
https://unesdoc.unesco.org/

يرمي تقرير الأمم المتحدة العالمي حول تنمية الموارد المائية 2018 إلى إعلام أصحاب القرار والفاعلين السياسيين في مجال المياه وخارجه، عن الحلول المستمدة من الطبيعة لمواجهة الرهانات المعاصرة في مجال إدارة المياه في كل القطاعات، وخاصّة منها تلك المتعلقة بالزراعة، والمدن المستدامة، والحدّ من مخاطر الكوارث وتحسين جودة المياه.

التراث العالمي عدد 90

قصص نجاحات

ISSN 1020-4220 (طبعة انجليزية)

88 صفحة، 220×280 مم، 7،50 يورو

تهدف اتفاقية التراث العالمي إلى المحافظة على المواقع ذات القيمة الكونية الاستثنائية. ومنذ سنة 1978، يتم إثراء قائمة التراث العالمي باستمرار، بإضافة مواقع جديدة كل سنة، كما سُجل تطور كبير في تطبيق الاتفاقية.

ويحتوي هذا العدد على عرض لبعض الأمثلة لما أدت إليه الإجراءات الملائمة من تحسين حالة المواقع، وأحيانا، إلى تحول رائع لصالح الموقع وسكانه أو سكان المناطق المحيطة به.

تحويل المستقبل

التوقع في القرن 21

ISBN 978-92-3-600075-6

276 صفحة، 234x156 مم

منشورات اليونسكو/مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، 30 يورو

توقع المستقبل مفيد للبحث عن طرق أفضل لتحقيق الاستدامة والشمول والازدهار والرفاهية والسلام. بالإضافة إلى ذلك، فإن الطريقة التي يتم بها فهم المستقبل واستخدامه تتغير في جميع المجالات تقريبًا، من العلوم الاجتماعية إلى الحياة اليومية.

يقدم هذا الكتاب نتائج البحوث الهامة التي أجرتها اليونسكو مع عدد من الشركاء لاكتشاف وتعريف وممارسة توقع المستقبل في جميع أنحاء العالم اليوم. ويستخدم مفهوم «تعليم مادة المستقبل» كأداة لتحديد فهم الأنظمة والعمليات الاستباقية – المعروف أيضًا باسم مادة التوقع.

أصوات متعددة، عالم واحد

تصدر *رسالة اليونسكو* باللغات الرسمية الست للمنظمة،
وكذلك بالبرتغالية والإسبيرانتو والكورية والصقلية.
ندعوكم لمطالعتها والتعريف بها عبرالعالم.

https://en.unesco.org/courier • https://fr.unesco.org/courier
https://es.unesco.org/courier • https://ru.unesco.org/courier • https://ar.unesco.org/courier • https://zh.unesco.org/courier

© All rights reserved © Photo : UNESCO / J. C. Bernath

بروميثيوس تأتي بالنار للبشر. عمل للفنان روفينو تامايو (1899–1991)، المكسيك. هذه اللوحة التي تحمل توقيع وتاريخ «تامايو 9–58» (500 على 450 سم) تنتمي إلى مجموعة الأعمال الفنية لليونسكو منذ عام 1958.